

فلسفاتُ جنازة

رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
٢٠١٩/٨/٤٣٩٦

٨١١،٩
عودة ، "مظهر عاصف" أحمد
فلسفات جنازة / "مظهر عاصف" أحمد عودة ، - عمان: المؤلف،
٢٠١٩

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
* يتحمل المؤلف المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعتر هذا
المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN:978-9957-67-335-2

الطبعة الأولى: ٢٠١٩
جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة
المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الكاتب.

تصميم الغلاف: روان الشريف.
الصف الضوئي والإخراج الداخلي : روان الشريف.

مظهر عاصف

فلسفاتُ جنازة
شعر

المقدمة

هو الشعر!
همس.. تمتمات.. نرف.. أرق.. نرق.. جنون.. تلبس..
وقرابين!
وبعد..

هل لمست يوماً بكاء الشاعر من محاجر المتلقي؟!
"الكلمات دموع اللغة.. والشعر بكاء فصيح" (مقولة للناقد
السعودي عبدالله الغدامي).
أي وجع يحمله هذا الديوان.. وأي سرٍ يخفيه في طيات
كناياته وبكائياته وغربته?
نعم..

هو الجنون حيناً.. والطيش المتعمد حيناً آخر.. والحكمة
المسبوقة بوعي ووجع الشاعر الذي يعاني من نرف الشعر
في رنتيه!

لا يحمل الديوان رقص الدراويش.. ولا يبحث عن تصوف
أو مقامات.. بل يشقى بالوجود ويورقه الشعر.. ولا يريد إلا
وجهه!
تعبه المادة وثقله الأشياء.. فيموسق شعره تارة.. ويجلده
تارة أخرى..

في شعر التفعيلة يتفلت الشاعر عمدًا من الوزن.. يتحرر
من الضوابط التي تخنق فكرته فيشطح في الإيقاع
العروضي ويخدش لحن القصيدة في أكثر من مطرح، غير
أنه يعود متلهفًا إلى القصيدة بغزارة إيقاعه التركيبي
والتصويري وكأنه يحضنها بما أوتي من وجع ليقول إن
الدم حين يسيل.. لا يؤمن بترسيمة أو حدود.. لكنه يبقى
ملتهبًا حتى آخر رمق ويبقي حرائقه مشتعلة حتى آخر
طرفة حرف!

ستلقتك حتمًا الحرارة في النصوص.. تلك الشرارة
المتوهجة المتنقلة من قصيدة إلى أختها.. وستلمس الصدق
والدفق والشك حد الإيمان!..
ستتأكد أكثر من مقولة الشاعر الإسباني "ميغيل دي
سرفانتيس" حين رأى أن "الشاعر يولد من رحم أمه
شاعرًا.."

كلما توغلت في وجعه أكثر.. تنفست ريح "نزار قباني" في
السبك واللغة الطيبة والسهل الممتنع والسردي الأنيق مع
حدائث في الصور وأناقة في التعبير وجزالة في الحرف
والتصوير.
يخطف الأنفاس حين يبحر في التعداد ورشق السهام
الشاعرات النائحات المتتاليات.. ثم يترك لك فسحة زفير
ضيقة متواضعة قبل أن يشده الخيال من جديد.

وقد يضيعُ منه الوهَجُ في بعض المواضع لكنّه سرعانَ ما
يحرّكُ عصاهُ لِيُحكِمَ قبضتهُ وسيطرتهُ وسحره كي يتغلغل في
شرايين الشعور فيتأجج ويثور ويشتعل من دون رحمة.

هو الشعر حين يثور وحشه تحت جلدِ صاحبه ليترك بصمة
"وجع أبيض" ستغربله الأيام لينحت وجهه جلياً مع الوقت.
سيُحاكم الشاعر في هذا الديوان على وجعه والمرأة الحلم
المختبئة خلفَ كلِّ حرفٍ وتتهيدة... وسينتصر البكاءُ
الشاعرُ.. وسيحكي الشعر يوماً عن هذا المولود.

سارة بشّار الزين

إهداء:

إلى..

أمي..

سهام أبو هنيّة..

الشمسُ والبدرُ منذُ الخلقِ ما التقيا
ووجهُ أمّك بالضّوءِ يجتمعُ

الثوب

لرزقاتِ بناتِ الشامِ إفصاحُ
ووشوشاتِ طباءِ القدسِ إيضاحُ
الغارقونَ ببحرِ العشقِ ما غرقوا
إلّا وقد تُرُكَّتْ في الشطِّ أتراحُ
ما أبعدَ الفلكُ أوطانًا وإن رفضتُ
دربَ الرجوعِ إلى الأوطانِ ألواحُ
بيضُ الأناملِ سمراتُ أخيلةِ
في رقةِ الصوتِ للمنكوبِ أفراحُ
لا يرتقينَ على (الأكعابِ) مِن قِصرِ
لكِنَّهُ الطبعُ نحوَ الفوقِ ينزاحُ
المائلاتُ إلى ما مالَ أصدقنا
والباسطاتُ يدًا إن غلَّتْ الراحُ
شجى الفراخُ بما رُقتْ بذِي كرمِ
ومبخرُ الطيبِ في الأعراقِ نضاحُ
بعضُ العطورِ وإن دامتْ لزائلة
وأجودُ العطرِ ما في الخلقِ فوآخُ

جاورثهن غريباً غير ذي سعة
فاستنزل الضيقَ في الأغلالِ إفساحُ
ينفضنَ عن كاهلِ المكلومِ وحشتهُ
ويستضينَ وما في الليلِ مصباحُ
من ألفِ الروحِ في جنْدِ مجندةِ
تنأى وتقرَّبُ باللاوعي أرواحُ؟
حاورثهن عسى إن لنتُ تعرفني
بيضاءَ باسقةَ والوجهُ وضاحُ
يامنتُ شعريَ في عذلٍ وياسرني
أطوي وأنشرُ تبياناً وأجتاحُ
قالت: ستخسرُ في الإلحاحِ منقبةُ
ولمعةَ العشقِ في العينينِ إلحاحُ
وطرفةَ العينِ لا تبدو كنظرتنا
فيها البيانُ ولحظُ السحرِ لماحُ
وكم كتمتُ أنا في موطني قلمًا
فاستنزفَ الحبرَ بالتزويرِ مداحُ
وكان لأرضِ بغاءٍ (أبو عربٍ)
وهل يصدقُ في الآلامِ مزاحُ؟!

والشعرُ في الحقِّ لا يلوى لغانيةٍ
ولا تدورُ إذا ما قيلَ أقداحُ
مِن رملةٍ وقرى الأرامِ قد وُجِدَتْ
في هذه الروحِ أعرابٌ وأقحاحُ
ويعرفُ الثوبُ مَنْ طرزنَ شاشتهُ
(وشملةُ) الخصرِ حولِ الخصرِ ترتاحُ
ويعرفُ القمحُ ما غنَّت سنابلهُ
وما يُدوزنُ في الأغصانِ فلاحُ
مِن هذه الأرضِ آبائي ومن لجأوا
ويملكُ الأرضَ رغمَ النفيِّ نزاحُ

التبغُ الضائع

يا أيها الليلُ خُذْ ما شئتَ مِن عَقْدِي
واشهدُ حسيْسَ النوى في دورةِ المددِ
صوفيةِ الحرفِ فيما قلتُ تعرفني
ويبلغُ الصمتُ ما في الدمعِ مِن زبدِ
كلُّ المعاصي وآثامي وما اقرفت
كفَّايَ قد لَجأتُ خجلي لمُعتقدي
لم أشربِ الخمرَ بل قَبَلتُ فاتنةً
واللائمُ الثغرَ إن مادَ الهوى يمدِ
كانت لها القوسُ في عينيهِ صاندةً
فما لها اليومَ لم تغنمُ ولم تصدِ؟
ما قوَّضَ الحزنُ قلبي إنَّما لغتي
أو ماءَ روعي مِن العينين بل كبدي
يا أيها اللَّيلُ هل أخبرتَ شاهدهم
أني أفتَّشُ في المرآةِ عن جسدي؟
أني أفتَّشُ في عينيَّ عن صورِ
تذوي إلى الوهم إن مرَّتْ على أحدِ؟

وحدي ويبعثني وحدي لوخذتهم
حتى أعود شخصاً هالها عددي
أمسي هناك وخلفي ألف نائحة
يلجان من عرض الأرزاء نحو يدي
يذرفن من وجع أوجاع قافية
لا يستقيم لها وزن بغير غدي
إني الممدد في قبوري وخارجة
والذارف الشعر من ضعفي ومن جلدي
والصامت الصب إذ يجثو فأحملة
من صدمة الأرض فوق النيه والكمدي
يا قبر قد سكنت دنياي قاطبة
في دفتيك، وفي جنبك مفتقي
أين العقال؟ وحطّات مرقطة؟؟
بالنثر بالتبع بالخيمات بالبلد؟
أين الدخان الذي قد كنت تنفثه؟
أين اختلاط الشذا بالنار والبرد؟
يا زوج من رصفت بالطهر مقصدها
مذ حلقت بجناح الوصل والولد

سرّاً أسألتها إن خبّأت نغمّاً
من صوتك العذب في صوتٍ بها عرِد
قالت مفاخرةً دنياك يا أبتى:
إني العرورُ فلا تُقبل ولا تردِ
فلا وردتَ ولم تُقبل فكنتَ لها
يومَ استرحتَ من الأثقال بالرصد...

رفوف مورقة

أخفيتُ عني ما يرى ويذاعُ
وأطعتُ قلبي والقلوبُ تطاعُ
لَمَّا تَقَنَّعَ خُلَّتُهُ مَتَماسِكًا
لَكِنَّهُ فِي الْحَالَتَيْنِ قِنَاعُ
لو شاعت الدنيا له ما شاءه
ما كان بين المتعبين نزاعُ
ماذا تغيَّرَ مِن شحوبٍ ملامحي
وأنا لكلِّ مصيبةٍ أنصاعُ؟
وجهي معالمةٌ تدلُّ على الأسي
وعلى الأسي تتقلبُ الأوجاعُ
ما عدتُ أشبهني فقل لي مَنْ أنا؟
مات الكمانُ وهاجر الإيقاعُ
ما عدتُ أشبه غيرَ قمعٍ شاحبٍ
درستهُ قبلَ ضمورها الأضلاعُ
ما عدتُ أشبه غيرَ بيتٍ موحشٍ
ضربتُ سرابَ بعيدِهِ الأصقاعُ

ماضٍ ويهزمني الضعيفُ بداخلي
والكسرُ والمكسورُ حين يراعُ
لا شيءَ خلفي إثمًا ألمَّ بدا
رغمَ الهروبِ لداخلي وصراعُ
خوفُ الأمامِ يجيءُ من طعّاته
فإذا استدارَ إلى الورا يلتاعُ
في خلفه زمنُ الفراقِ ووحشة
وتهافتُ بيدِ الردى ووداعُ
في خلفه الأنثى التي وهبت له
ما كان يحسبُ أنه يُبتاعُ
غابت توسدُ قلبها في قلبه
وأمدُّ عجزِي أذْ تُمدُّ ذراعُ
في خلفه أبتِي وهمسُته التي
فوق الرفوفِ المورقاتِ تذاعُ
ذهبت به الأنفاسُ نحوَ مصيرها
كي لا يعودَ من الضياعِ ضياعُ
يشتاقُ كلّي يا لكلِّ زاهدٍ
فيما سواهُ وعندهُ طمّاعُ

فِي خَلْفِهِ إِنْ تَسَأَلِيهِ كَوَارِثُ
وَسَدُودُ نَحْسٍ مَطْبِقُ وَقْلَاعُ
غَنِمَ الْجَمِيعُ مِنَ الْعَجَافِ نَصِيْبِهِمْ
إِلَاهُ فِيهَا خَاصِمَتُهُ صِرَاعُ
فَتَحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُهَا إِذْ غَاقَتِ
فِي وَجْهِهِ وَتَمَنَّعَ الْمَصْرَاعُ
وَاسْتَشْعَرُوا مَنِّي الْبِكَاءَ قَلَمُ أَقْلُ
مَا قَدْ تَصَوَّنَ لِقَوْلِهِ الْأَسْمَاعُ
هَا أَنْتَ وَحَدِّكَ كَيْ يَقْلَنَ: مَكَابِرُ
قَدْ قَلَنَ لَكِنْ قَوْلُهُنَّ خِدَاعُ
إِنْ يَسْتَعْذِنَ مِنَ الْقَصِيدِ وَعَمَقِهِ
فَالشَّعْرُ فِيكَ تَأْصَلُ وَطِبَاعُ
هَذَا الْحَطَامُ حَطَامُ نَفْسِكَ وَاثْقُ
أَلَّا يَكُونَ مَعَ السَّجَالِ دِفَاعُ
فَإِذَا انْتَهَيْتَ وَلِلنَّهَائِيَةِ أَوْلُ
فَالْحَزَنُ عَادَ وَعَادَتِ الْأَوْجَاعُ

دَقَّتَانِ وَأَنَا

لَمْ نَقْتَسِمْ وَجَعًا لَكِنَّهُ الْوَجْعُ
يُهْمِي بِأَنْتَهُ مَا كَانَ يَمْتَنِعُ
صَلْبًا أَرَاكَ وَكَمْ أَبْدَيْتَ مِنْ جَلْدٍ
فَكَيْفَ تَحْمِلُ فِي الْأَضْلَاعِ مَا يَقَعُ؟
حُمَلْتَ مِنْ تَعَبِ الْأَيَّامِ أَرْهَقَهَا
وَصُعْبَ السَّهْلِ فِيمَا رَمَتْ وَالْمَتْعُ
لَوْلَا الرُّؤُومُ الَّتِي رُوِّسَتْ دَعْوَتَهَا
لَقَلَّمَ الْعَمْرَ مِنْ أَنْفَاسِهِ الْجَزَعُ
فَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْذُ الْخُلُقِ مَا التَّقْيَا
وَوَجْهُ أُمَّكَ بِالضَّوْعَيْنِ يَجْتَمِعُ
مَنْ ذَا يَرُدُّ نِقَاءَ الشَّعْرِ فِي رَجُلٍ
مَا دَامَ مِنْ دَمِهِ قَدْ هَاجَرَ الْبَجْعُ؟!
يَا كَلَّ مَا عَرَفْتَ رُوحِي بِمُتْعِبِهَا
لَوْ جَرَدْتَ سَفْهًا مَا رَاحَ يَنْدَفِعُ
لَكِنَّهُ اللَّيْنُ إِذْ يَجْرِي بِأُورْدَةٍ
كِي لَا يِنَازَعُهُ فِي جَرِيهِ الطَّمْعُ

قَلَدتَ فِي الشَّعْرِ مَعْشُوقًا لِقَامَتِهِ
وَمَا أَتَّهَمْتَ إِذَا مَا قِيلَ يَتَّبَعُ
مَا جَلَّلَ الْعَيْنَ قَدْ أودَى بِقَسْوَتِهَا
وَآيَةَ الْكَسْرِ فِي أَحْدَاقِنَا الْهَلْعُ
فِي لُجَّةِ الْعَتَمِ تَرْسُو فِيكَ نَائِبَةً
وَضَفَّةَ الضَّوْعِ مِمَّا حَلَّ تَنْصَدَعُ
وَأَنْتَ أَنْتَ وَلَكِنْ لَمْ تَعْدُ سَكْنًا
لِلنَّازِفِينَ عِيُونًا حِينَمَا فَجِعُوا
فَقَلْبُكَ الْيَوْمَ لِلأَرْزَاءِ قَبْلَتْهَا
وَقَلْبُكَ الرَّحْبُ لِلأَحْزَانِ يَتَسَعُ
قَدْ قَدَّمَ الْمَوْتَ لِلأَجْدَاثِ وَجَبَّتْهُ
وَلَا يَزَالُ لَهَا يُقْرِي وَتَبْتَلَعُ
وَلَا تَزَالُ كِنَارَ كَلَّمَا انْطَفَأَتْ
أَوْ ذَبَّهَا الصَّبْرُ بِالأَمْوَاتِ تَرْتَفَعُ
فِي رَدْهَةِ الأَرْضِ إِذْ عَاشُوا مَكَابِدَةً
وَدَقَّةَ الْقَبْرِ لِلنَّسِيَانِ تُشْتَرَعُ
وَكَنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الصَّمْتَ يَنْصِفُنِي
حَتَّى صَرَخْتُ عَذَابًا حِينَمَا وَضِعُوا

ما قاله الشعْرُ في سلْواي مفسدةٌ
فهل تصدِّقُ أنَّ الصبرَ يُخرَعُ؟

انوجاد

روايثه تنقحها الدماءُ
ويمحوها وتقلها النساءُ
وإن غابت ملامحه استردت
بقرع من تجدرها يضاءُ
ولم يكتب مخافة أن سينسى
ولم يحفظه لآتي الرثاءُ
وما قد قيل.. قيل مُسلّماتٍ
يخرُ أمامَ سطوتها الرياءُ
وفي الثوبِ الكثيرُ من الحكايا
وخلفَ خيوطه تعدو الظباءُ
ويسكنه على المنفى وجودُ
ويسكنُ مَنْ يهجّره الفناءُ
وهل قد يستوي شعبٌ قديمٌ
ومَن في مهده وطنًا يشاء؟!
له أن يستريحَ بلا عظامٍ
يسمّدها إذا انتشرت فضاءُ

وأن يمشي إلى الدنيا وحيداً
وجمعاً حين ترفعهُ السماءُ
وليسَ الموتُ ما يخشاه لكن
لهذي الأرض يُنتدب البقاء..

التراب

لا أملكُ النردَ في كفي فانتصرُ
أبكي، يكذبُ دمعي أني حجرُ
أمنتُ بالصبر لكن عقني ومضى
فكنتُ من بعده بالقييد أصطبرُ
وكنتُ عن قصر الأحلام أمنعها
نفسي، وعند رفيع الحلم أنكسرُ
وكنتُ ما كنتُ إلا حين أنثرني
والشعرُ ما الشعرُ إلا حين ينتثرُ؟!
طاردتُ كلَّ محالٍ لاهتأ فإذا
خرتُ قواي، أمامي راح ينتظرُ
من ربع قرنٍ أباريني وأهزمني
وأنفخُ الروحَ في قلبي وأنتحرُ
من ربع قرنٍ أنا ما زلتُ مثلَ أنا
شيئاً يسيرُ ولا يبدو له أثرُ
فرغتُ بالحرفِ أسفاري وأتربتي
فكادَ من ثقل الآلام ينفطرُ

مادت خطاهُ على الأوراق يحملها
كما يجرُّ عليَّ ذابلاً سَكِرُ
مَن ذا أهدتُ والأشباحُ نائمة؟!
ولا مكانَ هنا كي يسكنَ البشرُ
ومَن رفيقي إلى الدنيا ووحشتيها؟
وصاحبي الشعرُ عند الجدِّ يعتذرُ!
ومَن يمدُّ يداً أو طوقه مدداً
وأنت رغمَ جحيمِ الحالِ تفتخرُ؟!
يأسٌ وبؤسٌ وسوداويةٌ تركت
نيرانَ عتمتها في الروح تستعرُ
والقهرُ فيك وتنفي ما تكابدهُ
وفيكَ لا شيءَ ممَّن بالرضا فطروا
ما بينَ داهيةٍ تأتيك نائبةً
وبينَ نازلةٍ يختارك الكدرُ
ترجو الخلاصَ وأرضُ الله واسعة
تضيقُ إن رحبت في صدرنا العبرُ
تضيقُ يسبحُ في الأحداق قاربها
وخلفَ كلِّ سرابٍ يسبحُ البصرُ

تَضَيِّقُ تَرَصُّفٌ مِّنْ أَشْوَاجِهَا طُرُقًا
وَتُوهُمُ النَّفْسَ: أَنْ الدَّرْبَ مَزْدَهْرُ
لَمْ أُبْرِحَ اللَّيْلَ مَذَّ سَيَّرْتُ قَافِلَتِي
ضِدَّايَ: مَا مَنَعْتَ دُنْيَايَ، وَالْقَدْرُ
أَخْبَرْتُ عَمْرِي: سَنَرَمِي آتِيًّا، فَآتَى
مَا لَسْتُ أَعْرِفُهُ فِي الْأَمْسِ يَنْحَدِرُ
لَمْتُ الْعَيُونَ لِأَسْرَارِ بِهَا افْتُضِحَتْ
وَمَا دَرَيْتُ بِسِرِّ الصَّمْتِ يَنْهَمِرُ
وَمَا شَدَوْتُ غَنَائِي حِينَهَا طَرْبًا
بَلْ غَصَّةٌ سَفَكَتْ وَيَلَاتِهَا السُّرُرُ
قَامَرْتُ بِالشَّعْرِ لَا عَيْنًا ظَفِرَتْ بِهَا
وَلَا اخْتَصَرْتُ مَدَى أَوْ رُحْتَ تُخْتَصِرُ
لَوْ كَانَ مَا زَرَعْتَ كَقَاكَ قَاحِلَةٌ
يَوْمًا لَظَلَّكَ مِّنْ أَطْيَابِهَا الثَّمَرُ
لَكِنْ زَرَعْتَ صِبَاكَ الْمَرَّ قَافِيَةٌ
وَالشَّيْبُ فِي عِبْثِ الْأَغْصَانِ يَنْتَشِرُ

يجري وراعك .. يجري أم تسابقه؟
قلب تكسر في ظمائه الحذر
لو نومتة ولو في الشوك مرصعة
أو عبقتة بها ما كان يحتضر
يحتاج يسألها إن أطعمته فما
من منكم الماء أم من منكم الشرر؟!!

سريرُ الرمل

لا عدلٌ يُجدي مَنْ أرادَ ملامَةَ
وطلَى بمعسولِ الأناةِ كلامَةَ
ومضى إلى دنيا الشبابِ يضمُّها
فسرتَ إليه من المشيبِ ندامَةَ
فرقتَ حزنك بين ذاك وبين ذا
ورخيتَ للدَّمعِ العصيَّ لجامه
وهدمتَ لا صلِّبًا جدارَ تماسكِ
والصبرُ مَنْ نقضَ البنا وأقامه
وعليكَ ترتطمُ القبورُ ببعضِها
فكأنَّما في القلبِ شبهُ قيامَةَ
وإليكَ تجتمعُ النعاهُ وأنتَ من
مطرِ النعاهِ سحابةٍ وغمامةٍ
فأقبضُ على قلبٍ تقطَّعَ نازقًا
وشوتَ تنانيرُ الزمانِ عظامه
(واحننُ) عليه حنوٌّ والدةٍ وقد
نخرَ الفِراقُ عنادهُ وعصامه

تلك الجماجم كأسه ودناؤه
والموت من دمننا يصب مدامه
من لحمنا يقتات وجبة متحّم
والقبر يشهد طهيّه وطعامه
فإذا انسحبت من الممات مخافة
فجهائنا كل الجهات أمامه
يا موت حسبك ما تركت بشاشة
إلا وأقمها النياح جهامة
يا موت إنني قد رجوتك حاسراً
ألا تعيد إلى الشموس قتامة
فأعدتها وأسرت جفناً ناعساً
بمنامه يوم احتللت منامه
كنا جميعاً هنا فأتيتنا
ورحلت إذ كنا وغاب (أسامة)
كنا وللمحراب صوت دافئ
فذوى صدها وقد خطفت إمامه

الأشقاء

تموتُ الجبالُ
يموتُ الصنوبرُ فوقَ المباني العتيقة
وتخشى الشقائقُ وجهَ الشقيق
فنادت علينا: أنعمانُ صفحاً
أنعمانُ عقلاً
أنعمانُ مهلاً
وجزَّ الشقيقة تلوَ الشقيقة
أصمُّ.. فلم يسمع الصائحات اللواتي انتحبن
أصمُّ.. ويمحقُ صوتَ العذارى على طهرهن
فلا من دليل
ولا من حديث
ولا ليس يُمضي كلامَ النبوة: "رفقاً بهن"
تموتُ الجبالُ
وتبقى العشارُ بلا حملهن

يسافرُ بعد العذابِ
ودون إيابِ رحالِ السفرِ
تساقُ التلالُ إلى المنحدرِ
يُجرُّ اعتباراً وقد شلتُ الروحُ فيه القمرِ
ويُنزَعُ عن وجهنا المستغيثِ احمرارُ الخجلِ

وعنَّا تمامًا سماتُ البشر
ومِن كلِّ صوبٍ تضيُّعُ الجهاتُ لأنَّا نشكُّ
ومِن حولنا كلُّ شكٍّ يشكُّ
لننسى الكثيرَ وما يستحقُّ
ونُنسى دمشقُ

هنا تخرجُ النسوةُ المُحصناتُ بدونِ الحجابِ
خِماصَ اليدينِ
وثرثرةٌ دونَ ذكرِ السريرِ
ولا قبلتينِ
حديثٌ مجوفٌ
وبردٌ يقدُّ الكلامَ الأليمَ
الكسيرَ المجففِ

وتطفو القبورُ على بحرنا الكاملِ المستجيرِ
ويبدو الطويلُ إذا قيلَ قهراً
كبحرِ قصيرِ
شجونٌ له ألفُ وجهٍ ووجهٍ عنِ القاتلينِ
وجومٌ يحاولُ أن لا يُعيدَ
وإن زالَ عن بعضهن الحنينِ
هنا تمرُّجُ البكرِ وقعَ البكاءِ
بوقعِ الخسونةِ
وفي جوقةِ الحربِ عزفَ النشازِ
بعزفِ النعومةِ

وتخرجُ (عشرينية) بعد عامٍ بثوبٍ قصير
فلا أعيُنُ تنهشُ الناهدين
ولا من سوارٍ يردُّ الجوابَ عن المعصمين
خلا دربها من غريب الغزل
خلا من سياج بناه الحياءُ
لدرءِ الفتن
ويأتي من الصوتِ صوتٌ بعيدٌ
يجرُّ الغياب
وضوءٌ خجولٌ يدقُّ الظلالَ التي كُسرت
وندفنُ ذاك السؤالَ الوحيد
لأننا نخافُ الجوابَ الوحيد
لماذا بدأنا؟
وفي المسرحِ ال لم يعد فيه شيءٌ
يقصُّ الفراغَ على آخر الميتين التراب

قصيدٌ دمشقي
وجرح السنين بدا يافعاً
بتلك الصبية
فلا أمويٌّ يذوبُ اشتياقاً إذا ما تشاقتي
ولا أموية
وينسى (نزار) وما قال فيها
وتنسى القصائدُ والناظمون
وما بين موتٍ وموتٍ
هناك المنون

وفيها الطفولة في كلِّ عشق
وعشق تعاد
وفيها الكثيرُ وما يستحقُّ
وفيها دمشقُ

فلا تتركوها بجنح الظلام كأنثى وحيدة
ولا تكذبوا إذ يقول المسافرُ: في القلب أرضي..
لقد أرضعتكم
فلا تشربوا من حليب الطغاة
بداعي العطش
لقد أطعمتكم
وكنتم صغاراً
فهلَّا رددتم لحوم الظباء بهذي السنين العجاف إليها؟
وهلَّا أعدتم إليها بنبيها؟
إليها الزمانَ الذي كان يجري مع الياسمين
مع الغيدِ والقول والقائلين
إليها المكانَ وما يستحقُّ
ففيها دمشقُ...

الأدغال

كن الإنسانَ أو قلقي
كن الإنسانَ أو آخر
ومارس دورة الأفلاكِ
كالأفلاكِ في جسدي
وفي صحراءِ هذا الفكرِ كن بئراً
لعلي أستقي وهماً
يبلُّ عروقَ أوراقي
أحملُ قاطراتِ العمرِ أقنعةً
وأصابعاً
وشيناً منك.. من آخر
وفي دربي إلى المقهى
أرى نفسي تساقطُ من ذرى نفسي
وتصدأ سكة التاريخ
تنهشها مسافاتي
ووحدي في احتساب الوقتِ
أن تدنو دقائقه.. وأخشى أن يمزقني
ووحدي إن رحلت الآن
أبقى دون مرأتي
فيعكس ظلُّ إنساني
ظلالَ أنوثتي العطشى
وأصحو من معافرتي

لوجهٍ شاءَ أن يمضي
لأرضٍ لم يعد فيها
طيورٌ تسكنُ الأشجارَ
أمكنةٌ تضمُّ نوارسًا تعشق
زوارقُ شلَّها الإبحارُ
أجبرها بأن تغرق
لأرضٍ ماؤها قاسٍ
تلينُ صُخورُها للغيرِ
كيفَ وأينَ لا أعرفُ!
ويمضي وجهك السكَّيرُ
هذا الوجهُ يشبهني
ويشبهنا إذا غبنا عن الأدغالِ
إن صاحت
ذئابٌ تسكنُ الإنسانَ في شرهِ
وتعوي دون أن نهرب
لعلَّك إن رجعتَ الآنَ
تلقى فوق مكتبنا
قصائدنا وقد طرقت
دقاتنا وقد ولدت
وأقلاماً تضاجعُ عتمةَ المنفى
وساعةً حائطٍ قفرت
عن الأيامِ أياماً
وضوءاً خافتاً كسلاً
وتلقى رزمةَ الأوراقِ قد أكلت رسائلها

غباراً نهنة الأشخاص فيها
في غياهبها
وخوفي أن تلاحقنا إذا عدنا محابرنا
فهل نهرب؟
وهل من ذاته الإنسان
من قارورة الأجساد
من قضباتها يهرب؟!
وفي دربي إلى المقهى
أرى نفسي تساقط من ذرى نفسي
كما تتحرر الأوراق من أغصانها غصباً
ولا أهرب
وأشعر أنك القادم
وأنت لدي مع أخرى
ولا أهرب
ووحده من تحرفني
وتنسخ من عباراتي
رداء لا يناسبني
يقمص قده الأخرى
وبعد تناوب الإحساس تأخذني
تعلقني على نفسي
على جدران ذكرانا
وألبس وجهنا الآخر
وشالاً لا يقي برداً
ولكن .. أنت تعشقه

وأجلس مرةً أخرى
ليسأل نادل المقهى:
شراب.. قهوة.. ألم؟
وأقبل مرةً أخرى
وأنت لديّ مع أخرى
بأن تتهشم الأشياء في قيعان أسئلتي
وأن تتلعثم الأكواب إن مرّت على شفّتي
وتحازُ ابتساماتي إلى ركن

لزاوية

يراودني بها آخر
وأقبل أن تراقصني
لعلّي أستقي وهماً
يبيل عروق أوراقي
وتصدأ سكة التاريخ
تنهشها مسافاتي
وذاك العازفُ المجنونُ
شيءٌ فيه يعجبني
يحاصرني
يدكُ حصون أوردتي
يمارس لعبة الإخفاء حين أراه منحنيًا
ليمسكني
وحين أراه محترقًا
ليحرقني
ولا أهرب

وأهرب من هروب الخوف كي أبقى
ولا أهرب
وألفُ عبارةً خجلى
على شفتيه أقرؤها
تنهيني
أفسرها تفسرني
تضجُ أساوري بالحب
تعلن ساعتي فصلاً
جديداً تائهاً
لكن... تذكرني بك الأقرأط ..بالآخر
تذكرني
وأنهرها وتلعني
أحاربها وتهزمني
تذكرني
تقضُّ مضاجع الذكرى
ولا أهرب
وَألمسُ وجهك السكّيرَ
هذا الوجهُ يشبهني
ويشبهنا إذا غبنا عن الأدغال
إن صاحت
ذئابٌ تسكن الإنسانَ في شره
وتعوي دون أن نهرب
وهل من ذاته الإنسانُ
من قارورة الأجدادِ

مِن قُضبانِها يهرب؟!
ويمضي الليلُ
ثم الليلُ
ثم الليلُ
ثم أنا
رفاقاً دون أن ندرك
ونسَمع قارئاً يتلو كلامَ الله تحبيراً
فهل مرّت جنازتنا لنبكي روحَ قصتنا؟
ولم نعرف؟
وفي الأخرى
يموت النادلُ المسكينُ
مثلَ كؤوسه كمدًا
يموتُ العازفُ
القيثارُ
والروادُ
والمقهى
يموت الفصلُ من كمدٍ
فمارسُ دورةِ الأفلاكِ كالأفلاكِ في جسدي
وفي صحراءِ هذا الفكرِ كن بئراً
كن الإنسانَ أو قلقي
فهذا البردُ أورثني
صقيعاً جمَدَ الشكوى
وشالاً لا يقي برداً
ولكن أنتِ تعشقه

وقد خبأت في الإنسان
في الأنثى

وأنت لدي مع أخرى _

كماناً لم يرم عزفاً

لأنني لحنك الأول

وأجلسُ مرةً أخرى

ليسألُ نادلُ المقهى:

شرابٌ.. قهوةٌ.. ألم؟

فأطلبُ عازفاً لدمي

ليخرجَ من دواليبي

يلاحقني

وفي أثناء رقصتنا يلاحقني

وفي أثناء من مرّت

ومن ذهبت.. يلاحقني

وفي دربي إلى المقهى

وفي قيعان أسنلتني.. يلاحقني

ولا أهرب

لأنني كنت مع قلقي

مع الإنسان

مع آخر

وأنت لدي مع أخرى.

نيسان

نيسانُ هذا العام يبدو صارماً
وأنا أراقبُ جوقةً بعثت تواسيحَ الترابِ
هو شهرٌ وشوشةُ الرياحِ تدورُ عاريةً
يُحمّمها العُبابُ
هو حينَ حجتِ كي تعمّدَ حزنّها
نحو المآذن والقبابِ
هو شهرٌ مشنقةُ الأمانِي إذ تدلّت
من تلابيبِ العذابِ
يأتي ويذهبُ والزمانُ زمانه
يأتي ويذهبُ والمكانُ تصدّعت
بعد الردى أركائهُ
يأتي على مهلٍ ليظفرَ بالذهابِ

نيسانُ يا (فدوى) أرادَ
وقد تغنّمَ ما أرادَ
قد جاءَ بالوجعِ النبيلِ كصهلةِ عصماءَ
في غضبِ الجيادِ
قد جاءَ يرتشفُ الدقائقَ من كؤوسِ الوقتِ
يملؤها الحدادِ
وهو الذي قد قال: مَنْ في البابِ؟

يبدو عاتباً
ويداه مَن خلعت عظام الباب
مِن قبل العتاب
والسائلُ المسؤولُ عن ألم الفراق
ومَن أجاب
وهو الذي عرَى الربيعَ مِنَ القصيدةِ بعدما
عرَى القصيدَ مِنَ الرشادِ
وأرادني حياً وموتي عالقاً
ما بين معركةِ الوجودِ أو الحيادِ
أيني وقد ركبَ الجنونُ الريحَ نحو اللا صواب؟
إني أفتش بعدَ أن ضيعتني
عن كلِّ نيسانٍ يجيءُ بلا عذابِ
ما كان ذنبي أن تجيءَ مُقلداً قلقي
وفي نفسي تُعاد؟
ما ذنبُ طيني كلما شكَّلتُ مِن طيني بقاءً
عبرَ صلصالي تكسَّرَ بالغيابِ
أيني وقد بعثَ الوداعُ الموتَ
في رسلِ السحابِ؟
والناسِ حولي
والجنائزُ
والأماكنُ
والعناقاتُ التي
تأتي وتغدو للسرابِ؟

الموتُ يا أبتِي...
وهذا الليلُ يا أبتِي كما عمري كئيب
الموتُ يا أبتِي اصطفاكُ
الموتُ والقلبُ الوجيع
الآن أدركُ ما جهلتُ من الحياةِ
من المماتِ
الآن أفقدُني ومن منِّي أضيع
الآن يخبرني رحيكُ
أنه رحلَ الجميع

الليلُ شاهدُنا الوحيد
فهنا الفناءُ وقد تشبَّعَ بالخلود
وهنا .. ولكئِي وقفتُ
وكم توقَّفتُ ها هنا الرجلُ الوحيد؟

الآن نبدو في المرايا الجائعاتِ لوجهه طيفًا
وظلًا
الآن يفترسُ الخيالُ حقيقتي
تتفرسُ الأحداقُ
تنظرُ جيدًا
تتلمسُ الوجهَ الشبية
الصوتَ
قائمةُ الهمومِ

الشيب
تسألني أنا
وأنا الذي كفكفتُ وحدثها أفجرُّ بالنعيب

نيسانُ يا (فدوى) أرادَ
ولا مرَدَّ لما يريد
لكنه وجعُ المقاعدِ
والمحابر
والقصيد
وجعُ الفراغِ بأن يذيبك ما احتواه
وجعُ الملامحِ إذ بحثت عن الذي
قد كان رؤياك البعيدة في الرؤى
والآن حتماً لن تراه
وجعُ الصباح.. وقد نوى فيه الألم
نوحُ الدفاتر والقلم
يأءأنا.. ويجيبُ من نادى بحرقته العدم
تلك الخطى
وقعُ الخطى فوقَ السلام
حين يأكلها البعيد
صمتُ النعالِ الواقفاتِ ببابٍ من رحلت خطأهُ
ولن يعود
موتُ السجائرِ في صناديق
يحنطها الغبارُ من الجمود
نيسانُ يا (فدوى) يحطمُ طيننا

باسم التحرر بعد تحطيم القيود
ويكون نطعاً إن أراد
يكون سيقاً إن أراد
يكون حقلاً إن أراد... من الورود
يا رحلة العمر القصير من البطون
إلى اللحد

الموتُ يا أبتى... وهذا الليلُ يا أبتى كئيب
الليلُ إذ يخفي المواجه
بعد ذكركَ بابتسامه
إنّا وقوفاً للصلاة وما تقدّم
منذ أن فارقتنا أحد
وكبر بالإمامة
أمورنا مخلوجة
وجومنا يفسخُ الكلامَ والحديث
ليجمع الهدوء ما أفتيت من حديث
ويشردُ الحوارُ من شرونا
ويشردُ الحديث
وحيثما نعود من خيالنا
تقومُ للدموع في عيوننا القيامة

أبي .. وكلُّ ما ارتأيتُه في والدي غريب
مسيره غريب
وقوفه غريب

عاديُّه غريب
غريبه غريب
شروده .. انتباهه .. انشراحه .. انقباضه .. اصطباره ..
انفعاله .. غريب
حتى ارتقاء روحه من مدرج الحياة للسماء
موقف غريب
أبي الرقيق واللطيف والحيي في حضوره
حضوره مهيب
وهجره مهيب

أبي وفي سكوته خشوع من تحصنوا
بسورة الفلق
في صوته قصيدة
أحالتها الوقار للغرق
في كل ما يقوله
إن قال أو كتب
في كل ما يبثه
إن رد أو شجب
حكاية الصفيح والخيام مذ لجأ
وكان رغم شقوة السنين في رحيلها
يفيض بالألق
أبي ولو رأيته
لعدت من شروده لوجه من ترفعوا
عن لوثة البقاء

ووجه من تشرَّبوا اللجوء
والنزوح
والعناء
وكفَّ من تسلقوا
شواهقَ البكاء
وثغر من تبسَّموا
لأنهم تشجَّروا في مشتل النقاء
وحينما يعيدني الوجودُ في ملامح
لملمح الفناء
وعينه ال تضحُّ في بريقها
لأعين تجمَّدت
من وحشة المساء
أكادُ إذ تُعيدني
ألا يكونَ بين رعدةِ الرقودِ والحياة
من دماء
ألا يكونَ بين لحظةِ الجنونِ والأناةِ
من رجاء
أكادُ إذ تُعيدني
أن أمسكَ الفنجانَ مثلما مسك
وأتركَ الفراشَ ضمنَ طقسِهِ الغريبِ
مثلما ترك
أن تهلكَ الطريقُ في دواخلي
لقادمِ هلك

أبي
ولو رأيته
لقلت هل يعيشُ بيننا
في الأرض من رسول؟
ولو رأيتَ خلقه
لمستَ باحمراره تنسكُ البتول
ولو شممت تبغهُ
لراقك الدخانُ من مباسم الدخان
كالبخور
وفي شموخ والدي
شموخُ من تشردوا
وأسكنوا الخيام
وفي حديث والدي تَشْتَمُّ عَطَرَ (رملة)
لتسمعَ الرياحَ في سهولها
وتلمسَ الترابَ في الكلام
وطالما عرفتُ أن والدي
عرفتهُ من طينةِ العظام

نعم فارغة

لأنني الألم
لأنني الجراح من كوارث
ومبعثُ الندم
لأن من يريدني
وشاءَ أن يقولني
حقائقاً بشعره
سيكتبُ العدم
رحلتُ يا صديقتي
بعجرتي
ومُجرتي
ولوثةٍ بخنجري
وقد غدا بأضلعي.. يشقُّ ما التأم
وهكذا تبددت
أحلامنا تبددت
فيومنا كأمسنا المسلوب من جراحنا
المنشق عن أنيننا
ومثله غداً
تفحصي ملامحي

تجسّسي المنزوعَ من حياته
تفرّعي لو مرةً بصدريه
فمن هنا عذابه
ومن هنا اكتبابه
ومن هنا ستسلكين درب من تسلقوا
ليبلغوا القمم

أعيشُ في زنزانةٍ
تعقنتِ صخورها
تقاربتِ شقوقها
ودمعةُ الظلام في كواتها الحزين نورها
على شفا ندامةٍ
تكادُ من غربانها
وطالما تجمعت
بسطحها غربانها
أن تمنحَ الفراغَ في سقوطها.. سقوطها
وتبلغَ القرارَ للسأم
أخافُ من غرباتي
تناقضي
فكلما استبحتُ من دعايةٍ
وأشرقت نواجذي
ببسمة خجولةٍ
تلبّدتِ وساوسي مخاوفًا
لحجبها وطمسها

لتستحيلَ حَسْرَةً بِشَقْوَةِ الظُّلْمِ
وَمِنْ دَمِي قِصَائِدِي
تَشُوبُ مَفْرَدَاتِهَا كِيَاسَةً
تَسِيلُ حِينَما تَسِيلُ فُطْنَةً
وَأَحْتَفِي بِحَمَقِهَا وَجَهْلِهَا الْعَمِيقِ
سَاعَةً فَسَاعَةً
لَأَشْتَمَ النِّقَاءَ فِي قِصِيدَةٍ
وَأَمْدَحُ الْغِبَاءَ فِي قِصِيدَةٍ
وَيَدْمِجَانِ غِيلَةَ إِنْ عَانَدَا مَعًا

لَأَنْنِي الْأَلَمَ
لَأَنْنِي الْجِرَاحُ مِنْ كَوَارِثِ
وَمَبْعَثُ النَّدَمِ
أَخَافُ أَنْ أَحْبِكَ بِقِسْوَتِي
أَنْ تَجْلِدَ الضِّيَاءَ فِي أَنْامِلِ
مَدَدَتِهَا كَنُورِ
ضِلَالَتِي وَعِثْمَتِي
أَخَافُ أَنْ أَخَافَ أَنْ أَحْبِكَ

فكيف يا صديقتي
أسير إذ أسير للبحار إن دعوتني
مُبْتَرًا كأحرفي
ودونما قَدَم؟
وكيف جاءَ وجهُك
_ووجهُك قصيدة
أخافُ أن أصوغها_
يريدُ ما يريدُ من رقائق
وفي الضلوعِ صخرةٌ
تحجُّها الرمالُ من صنم؟
مفارقٌ لأنني
مُنعتُ من منابعي
فجئتِ في حقيقةٍ
كعارضٍ
وغيمةٍ
وشاطئٍ ويم

فكيفَ يا صديقتي
منحتِ في دقيقةٍ
مراكبي
بوهنها وضعفها وعجزها وطن؟
وكيف من ذؤابةٍ
أشابهها زمانها

نسجت لي طفولتي
ودربنا حطم
مفارق
فحاولي
لأجل من تحاولي
أن ترحلي إذن
وصدقي كوارثي
تهجمي
صغائري
كباثري
شتائمي
وكلّ لاءٍ

كلّ لاءٍ - صدّقي - وإن عنت نعم.

مدينة البن

(عمان) تسكنُ نفسها هذا الصباح
لا صوتَ فيها غيرُ أجراس الأمانِي
لا صوتَ إلا ما توشوشهُ العجائزُ

من دعاء

إنني الراوي الذي
قصَّ الروايةَ من بدايتها
وظنَّ لها ابتداء
لكنها بدأت بأرضي
ثم أرضي
ثم أرضي
ثم كررتُ الذي كررتُهُ
دونَ انتهاء
إنني الصوتُ الذي

يدوي بعيداً من فمي
وأنا ارتدادي
وارتدادُ الآخرينَ اللا يرون
من المساءِ سوى الضياءِ

باسماتٍ من يسرنَ محمّلاتٍ بالتعففِ
تحت أنظارِ البردِ
وأنا ألممُ من حديثِ الضارباتِ بخمرهنَّ
قصيدي
وأللمُ البجعَ الذي سكنَ العيونَ الناعساتِ
لشاطئي
والفجرُ غافٍ
والستائرُ غافياتُ
خلفَ نافذةِ اللياليِ المقمرةِ

(عمّانُ) تختصرُ العواصمَ
حين تنغمسُ العواصمُ في المدينةِ
وجهان
والوجهُ الرقيقُ
ووجهها
ويدان تحتضنان أوجاعَ المسافرِ
ما تساقط من سقوطِ الذكرياتِ
وما تناثرَ من دمِ الأوراقِ
في كفِ الغريبِ

وفي المدينة
حيث تجتمع البداوة بالحضارة
والحماسة بالنسيب
هناك صدرٌ واحدٌ
لا زال يحتضنُ الجميع

وهي الشوارعُ تنجبُ البسطاءَ مثلي
تنجبُ الأحلامَ في صدر المشاة
كل الوجوه هنا كوجهي
بعضُ ما قالتها صاحبةُ الجديدةِ
كان مني
قصتي هي قصةُ الرجل الذي
يمشي وحيداً
قصةُ الجارات ينسجنُ الحكايا
عن بلاد (القدس)
عن ذاك الغريبِ
وصارَ جزءاً
من زقاق الحيِّ
من تين الطريق
وصارَ جزءاً
حين لا يبدو غريباً للترابِ
قصةُ التلميذِ يسرعُ
ثم يلتقطُ الدفاترَ
بعد بعثرةِ المشاعر

ثم يمضي
شاعرٌ مثلي تماماً
لا يجالسهُ أحد
شاعرٌ ما زالَ يبحثُ في القصيدةِ عنهُ مثلي
لا يجالسهُ أحد
وأراه يشبهني تماماً
حين يسمع صوتَ شاحنةِ الطحين
وصوتَ ما التهمَ القطارُ من المسافاتِ البعيدةِ
ثم يأتي بانعُ الكعكاتِ
يختصرُ القصيدةَ بالنداءِ
(عمانُ) تدنو الشمسُ منها
والمنازلُ تستحمُ من الليالي والمطر
تتحررُ الأنوار من أضوائها
تمضي لميقاتٍ جديدٍ
من جديد
ومدينةُ البن الذي تشتمهُ الطرقاتُ
يلثمُ ماءه
ويراقصُ النيرانَ أيضاً
ومدينةُ الوجهِ الجميلِ الآن تبدو
بعد أن مدتْ يديها كي أقبلها
وأمضي
في صباحِ اليومِ أمي
بعد هذا الليلِ أجمل

بعد هذا الغيث أجمل

كوب شاي

أتعرفُ ما الذي يُبكي
ويمنعني من الإدلاء في ألمي
فلا أحكي ؟

:أنينُ الحزن

واستسلامُ أحداقي
بأن تستوردَ الأحزانُ
أصنافاً من الأحزانُ
وأشكالاً من الأشجانُ
ضُمورُ الشوق للمجهول
مُصفرّاً ومُزدهراً
وما تُغني عطورُ الزهر للآزهار
إذ قُطِقتُ

ودبَّ العجزُ في كينونةِ الأغصانِ؟!!

ضِياعُ الدربِ

أشواقِي لمن ضَاعُوا

فما عَادُوا لأوطَانِي

ولا شَغِلَتْ مَقَاعِدُهُمْ

فظلَّ المَقْعُدُ الخَاوِي

وَحِيداً

وَجْهَهُ ذَاوٍ

تَسَمَّرَ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ

وَالْإِعْصَارُ يَضْرِبُهُ

فَمَا أُعْنِتْ عَزِيمَتُهُ

وَلَا ذَكَرَى بِطَوْلَاتِ

أَمَامَ تَذِدْبِ الأَرْكَانِ

رَكَضْتُ وَرَاءَ مَنْ ذَهَبُوا

أَقِيلُونِي مِنَ الأَشْوَاقِ

وَانْتَظَرُوا

أَقِيلُونِي مِنَ الأَحْزَانِ

وَانْتَظَرُوا

رَكَضْتُ أَلْمَمُ الأَيَّامِ

وَظَلَّ الرِّكْبُ مَرْتَحِلاً

زَمَانٌ ذَابَ بِالنَّسِيَانِ

تَرَيْتُ صَاحِبِي هَاجِراً

تَوَقَّفَ إِنَّمَا هَاجِراً

ولحنُ اليأسُ يعزفني على وتر
فلا صوتي غدا صوتي
ولا زمني غدا زمني
أنا الإنسانُ فارقني
وودّعني هو الآخرُ
فلمّا عدتُ أدراجي
وشاءَ الله أن أحيَا
وجدتُ الأرضَ من بعدي
قِفارًا أصبحتُ أرضي
وجدتُ العشقَ في أرضي
من الإذلالِ قد سافرُ
حضنتُ الخوفَ
والأشواكُ تحضنني
نزعْتُ ملابسَ الإحرامِ
عن جسدي
فأين الشمسُ؟
أين البدرُ؟
أين العمرُ؟
أين الوقتُ؟
إنَّ الوقتَ قد غادرُ
لذا قدماي تُؤلمني!
تري هل طالَ بي سفري؟
ألسْتُ وُلِدْتُ في أمسي؟
أليس غداً هو الذكرى لميلادي؟

لذا روجي تشكُّ بأنتي أحياء!
فهل أحياء ... ولا أحياء؟
أنا جسدٌ بلا روح
أم الأرواحُ إن تعبتُ
تضيعُ ويختفي المظهرُ؟

لقد ضيَّعتُ يا (فدوى)
صبيًّا كان يعرفني
له وجهٌ .. أظنُّ بأنه وجهي
له صوتٌ .. أظنُّ بأنه صوتي
له في الشَّعر تجربةٌ
وخربشةٌ على الحائطِ
تحاكي عمقَ تجربتي
وأثوابٌ مُرَقَّعةٌ
وأوراقٌ مبعثرةٌ
وأقلامٌ مكسرةٌ
وأهاتٌ ... أظنُّ بأنها
ألمي
رآني فرَّ في عَجَلٍ
تلاشى أن أحدثهُ
أنادي: يا رقيقَ الخدِّ
اسمَّعني ولا تفرَّعْ
فجبنُ الأمس لا يَنْفَعُ
وهذي صفحتي السوداء

فامحُ ما روى قلمي
وعاتبني على زمني
وقفتُ
سألتهُ
أنصتُ

تجرأً واحمرارُ الوجهِ
يفضحُ أنه مني
بأن ينسابَ في وجلٍ
ويرفضَ أن يحاورني
كأن الأرضَ ترفضنا
وتمنعنا ولو قدرًا
بأن ألقاهُ في صِعري
وأن ألقاهُ في شيبني

بعيدًا ذابَ فارقني
قصصتُ خطاهُ ضيَعني

صرختُ به:
أيا هذا توقفُ
تلك عقرتتي
تريثُ يا فتى.. هاجرُ
توقفُ

إنما هاجرُ
وكان الوحلُ يبطنُ خطوتي
قسراً

وَمِنْ مُسْتَنْقَعِ أَنْجُو
لَأَغْرُقَ مَرَّةً أُخْرَى
بِوَاخَاتٍ مِنَ الْأَلَمِ
لَقَدْ فَتَّشْتُ عَنْ قَلَمِي
فَضَاعَ الْحَبْرُ مِنْ قَلَمِي
وَسَادَ الصَّمْتُ فِي صَفِي
فَرَحْتُ أَمَارِحُ الْأَوْلَادِ
لَكِنْ ... لَمْ يَعُدْ أَوْلَادُ
وَهَذَا مَوْعِدُ الطَّابُورِ
أَيْنَ الْجَمْعُ وَالْأَصْحَابُ؟
تَبَخَّرَ ذَلِكَ الْمَاضِي
وَبَعَثَرَنِي مَعَ الْأَوْرَاقِ

شَرِيتُ فَلَافِلَ الْإِفْطَارِ
فَلْتَصْنَعْ يَدَاكَ الشَّايَ
عَسَايَ نَسِيتُ أَخْبِرْكَ
بِأَنَّ الشُّوقَ نَهَّنِي
كَأَهَاتِ بَثْرِ النَّايِ
لِذَاكَ الشَّايِ يَا (فَدْوَى)
لِذَاكَ الشَّايِ

لَقَدْ ضَيَّعْتُ يَا (فَدْوَى)
بِكَاءَ الطِّفْلِ فِي عَيْنِي
لِعُمُقِ بُكَايِ

نقاء الصوت في شفتي
لُفح غنائي
جمال الكون في بصري
لضيق رُوأي
سُكوني
طبييتي
ألقي
أكادُ بأنْ أكونَ أنا
للحظاتِ أكونُ أنا
فألقاني أكونُ سواي
أعدُ لي يا زمانَ القهرِ
ما ضيَّعتَ من عمري
أعدُ لي قلبيَ الأبيضَ
وأحلامي وفجرَ صباي
أريدُ الطفلَ .. ذاكَ الطفلَ لا أكثرُ
أريدُ تسلسلَ الأيامِ
والإبحارَ في جهلي
أريدُ الحزنَ
بادئني بأحزاني
أريدُ الحزنَ أنْ يبدو
كحزنِ دونِ أنْ أقهرُ
أريدُ تناولَ الإفطارِ مع (فدوى)
وكوبَ الشاي
عسايَ نسيتُ أخبركِ

بأنّ الشوقَ نهني
كأهاتِ بثغرِ الناي
لذاك الشاي يا (فدوى)
لذاك الشاي

سطور

الحننُ يا صديقتي يقودني بعيدا
يقودني مكبلاً بالقهر فوق قهره
يجرني مُسوراً بالليل في دهائه
كأنَّ لا فرارَ من براثن الطريق إذ تلوكني
ممزقاً
شريداً

كأنَّ لا قرارَ أن أسيرَ صوبَ عالمي البسيطِ
أو أعودا
فتيبسُ ارتعاشتي
في الدربِ من مخاوفي

وحيثما يعيدني
يعيدني قليلا
من كثرتي قليلا

وحيثما أقومُ الشقاءَ في مدينتي
الشقاءَ في قصيدتي
وأحطمُ الحواجزَ
الجدرانَ
والسدودا
وأشققُ السياطَ بابتسامةِ البريءِ بعدما
تطوَّعَ العظامُ بعد بعثها الحديدًا
أعودُ من سخافتني محملاً بخيبتني
وواهماً بليدا

أعودُ أو تعيدني الأحرانُ يا صديقتي
ممزقاً قليلا
من كثرتي قليلا ..

رفات بل

سَرَّحْتُ شعري
كان شعري أسوداً
غضاً تبعثره الحقول
ونقرتُ تابوتَ الظلام
لتبزع الأتوارُ فيه
حاولت أن أمضي
فلم يمض المضيُّ
ولا استحثَّ العجزَ في روعي الخمول
أنا ضدُّ أن أبقى
ولكني إلى ضدي أميل
قل للمسافر: قد خسرت مقامرات الصبر
في وكر الغناد
واستنزف القلُّ الحياةَ
ومصَّ وقتيها البعاد
ليلٌ يجبُ الليلَ
ثم يجبُ أمتارَ البلاد
رجلٌ عجوزٌ يحمل الدنيا
يمرُّ أمامنا
لا أمَّ له
رجلٌ عجوزٌ يختم الأوراقَ

قبل وداعنا
لا أمّ له
وحدي ومن رحلوا أماطوا الحزن
عن حزن بليد
كلُّ المراكبِ قد نستكّ
فلا تسلُّ أحشابها
كلُّ الحوافلِ قد نستكّ
فلا تسلُّ ركائبها
كلُّ القطاراتِ الِ تروحُ إلى البعيدِ
لا نفعَ للتاريخِ إن كانت بدايتهُ هنا
لا نفعَ للوقتِ المكررِ
إذ يجيءُ بلا جديدِ

مَنْ جَدَرَ الأوطانَ في أرواحنا
منها هرب
من كان يرفضُ شعوذاتِ السحرِ
غيبَ الطيبينَ
البرزخَ الكونيَّ
آمنَ بالخرافةِ والعجبِ

حدثتكِ عن نهدي من أحبها
إذ شاخت العروقُ في كرومها
لا فضلةَ في النهدي من نبيذها
ولا عنب

من روحها تفوحُ منذ نصفِ ثورةٍ
روائحُ الحريقِ
سُعالها المكروورُ مثلُ نشرةِ الأخبارِ مرهقٌ
لها ولي
ما خبأت من وسوساتٍ
لا يروق للضجرِ
لها ولي
عجيبَةٌ أحيانها
وحيدةٌ
لا قطة تموءُ خلف بابها
لا ساعة تقصُّ غيمةَ الجمودِ في فضاءها
عميقةٌ كمحبرة
أثاثها القديمُ
والبلاطُ
والستائرُ الممزقة
أبوابها المعطلة
سريرُها
تلفازها
صحنُها
والمنفضةُ
عميقةٌ كمحبرة
عكَّازُها القصيرُ قد يخرُّ ساجداً
وظهرُها انحناءٌ
ما قومت غصونه الجذور

(ويانسُ) الصلاة شعُرُها
فراشُها أثوابُها
ونعلُها أقدامُها
ويجهلُ الرصيفُ _ حينما يضحُّ بانفعالهِ
من خُطوةٍ تجرُّها في البطءِ _
سرّاً تمتماتها
ويسقطُ السكون
ويكسرُ الجمودُ
والهدوءُ
والبرودُ خلف بابها
وبابها لديك

يا أنتَ حينما كسرتَ حاجزَ الفضولِ
واندفعتِ
حملتَها
قفزتَ قبلَ أن تقولَ: لا عليكُ
وضعتها أمامهم
:مَن هذه العجوزُ؟
من تكونُ؟!
قال صمئهم
لكنَّها.. وقبلَ أن تجيبهم
وقبلَ أن يفتشَ الفضولُ في حقيبةِ الكلامِ
عن حياتها
تبسَّمت

ولملمت غموضها
وغادرت
كما يغادرُ الترابَ بعد موتِه الشجر

الموتُ لا سواهُ من يوزعُ البلادَ
في مداه
وتفقزُ القرى
وتهربُ البيوتُ بعدَ وثبةٍ مميتةٍ
من كوةِ السفرِ
ويصعدُ الفضاءُ بعدَ يأسهِ
سلالمَ القدرِ

سرحتُ شعري
كان شعري أشيباً
جعداً يميلُ إلى الحياةِ
ومسحتُ وجهي من دموعِ صغيرتي
فرحاً وتعلمُ أنني إن غبتُ
رجعتُ الطريقُ لقلبتي
على الجبينِ
بعضي يغادرُني
وبعضي في عناقِ الياسمينِ
كي لا أسافرَ يسرقون حقيبتني
وتعللُ الأنثى التي أحببتها:
في الليلِ طار قميصك المبلولُ

رفضاً للفراق
أتوسدُ الصنفاصفاً حين يذوبُ بي

وتذوبُ بي
حتى كراسي الحقل
تعلمُ ما يخبئهُ العناق
كم لهفةٍ صُلبت هناك
وكم صُلبتُ مواجعي؟
هم يسرقون تذاكري

وجواربي
وأنا الذي في الظلّ تضحكني الألاعب الصغيرة
طفلين كئناً نجبُ الأطفال
في حمى الهجيرة
طفلين كئناً
نعشقُ الدنيا وهذي الأرضَ
من قبل البنادق
والفيالق
والعيون البربرية

أهملتُ شعري
كان شعري أبيضاً
هشاً
ومهترئاً
يميلُ إلى الممات
السارقون تدافعوا للطهر من بابِ الحرام

لم يحتمل قلبُ العذارى العشقَ
في وطن الغرام
لم يحتمل صوتُ الكنارِ القطعَ والتشويشَ
في بثِّ الظلام
وبقيتُ وحدي
والضريبةُ من دماء المتعبين ال لم يكونوا
ذاتَ يومٍ في الأمام
وبقيتُ وحدي
إنني المشدوه من نورٍ بعيدٍ في حنايا الذكريات
وحدي ومن رحلوا تبعاً
يحملون المعجزات
ماذا كتبتِ عن السرائر والحروب؟
ماذا كتبتِ عن الضمانر
حين تدخلُ كلما احتجنا لها
فصلَ السكوت؟
من قادنا لبعيدنا.. يدري بأنا لن نعود

حدثتكَ عنهم وقلتُ لك الكثير
كانوا جميعاً يكتبون النثرَ
تحت صفيحهم
رحلَ المُجيدُ
وغادر الدنيا بدنياه الفصيح
رحلا
ولكن لم تزل

في النثر طقطقة الصفيح
 كم مزعجٌ نثرُ الصفيحِ على اسطواناتِ
 يرافقُ صوتَ مَنْ فيها التعب
 كم مزعجٌ والصمتُ يبدو مزعجاً
 مثلَ المسافةِ بينَ حرفينِ استمداً من غضب
 فتفرقاً يومَ استدلاً.. للمعاني الضائعة
 ليلٌ يجبُ الليلَ
 ثم يجبُ أمطارَ البلادِ
 عيناكِ تختزلانِ ضوءَ الحرفِ
 في الوقتِ القليلِ
 ويديا تمسحُ عن أكاذيبِ القصائدِ طيشها
 وتصوغُ عقداً للرموشِ الباسقاتِ
 إلى جهاتِ المستحيلِ
 وأقولُ عني ما يفجرُ من سكوتي ألفَ صمتِ
 في العويلِ
 لو كان هذا الصمتُ لي
 لو كان هذا الحزنُ يصلحُ للغناء
 لكنه المعنى الِ يضيعُ مع الهواءِ
 ومن شفاهي
 من حديثٍ قاله وجعي
 وصدقهُ البكاءُ
 ليلٌ يجبُ الليلَ
 ثم يجبُ أمطارَ البلادِ

أأنتَ ستسأل؟
ومن ثم تسأل؟
وتقسيمُ أتك أنتَ
وكل النوافذِ
كلُّ الشراشفِ
تعرفُ أن الذي جاءَ أنتَ
وهذا السريرُ لتزرعَ قمحاً
على ضفتيه
وهذي الشموسُ
ووجهٌ حنون
ولست تبرر بعدَ الرجوع لها ما أعاقك قبل الجنون
تركت لها أن تدورَ بكل السواقي
لضحَّ الشكوك
تركت لها ما يريدُ الخيالُ له
أن يكون
فكان الضجيجُ الذي في السكون
لذا حين قالت لها الأرضُ كوني.. استفاقت
ولمّا أرادت لها أن تشيخ.. استدارت
ومرّت عجوزٌ تبيعُ الدقيقَ
وبعضَ الحشائشِ
كانت تبيعُ لكلِّ الجناةِ قلوباً رقيقةً
ولمّا تأخرت المعجزاتُ
وبعضُ الأمانى استراحت بقلبِ
شوتةِ الحروبِ

فكيفِ لأنثى ترى نفسها بعد خمسين عاماً
بأن تتحدث؟
وأنت تشاهدُ تلكَ الفروقَ
وتلكَ الندوبَ؟!

رأتكَ تخونُ السريرَ بآخر
تخونُ اليدينَ بأيدي تمدُّ لها عالمك
رأتكَ بطهركَ
فسقكَ
ما كنتَ فيه
وما لم تكن
ولم تتحدث
فكيفِ لأنثى ترى نفسها بعد خمسين عاماً
بأن تتحدث؟

حفرتَ الرجوعَ ودربَ الإياب
حفرتَ الخيالَ بمسمارِ روحك
حفرتَ بعظمتك قبلَ انتحارِ الشبابِ
هناكَ الشموسُ ووجهٌ حنون
هناكَ السريرُ لتزرعَ قمحاً
على ضفتيه
ولا زلتَ في حفركَ المستميتِ
لذاكِ النفقِ

أأنت؟ ستسأل
ومن ثم تسأل
ومن ثم تبكي
وتبكي عليك
أأنت؟
وتقسمُ أنك أنتَ
وكلُّ النوافذِ
كلُّ الشراشفِ
تعرفُ أن الذي جاءَ أنتَ
ومرَّت عجوزٌ رأَتْك قديماً
تبيعُ الحليبَ
وبعضَ السرابِ
تبيعُ لمن لا يعودُ الغيابَ
كما باعت الحربُ.. كلَّ المدائنِ
كلَّ القلوبِ
بسوقِ الخرابِ
حملتَ الذي كان منك وسرت
حملتَ السنينَ وما مرَّ منها
ولم تتحدث

أنا ضد أن أمشي
وأمشي
عشرونَ عاماً في المسيرِ ولم أزل
في البحثِ عن منازلٍ بعيدةٍ

لا يسكنُ الشحوبُ في فضاءها
لا تسألُ الطرَّاقَ عن أوجاعهم
وحين يرحلون لا تشي بهم
وتلوحُ الصدفَةُ
تلك مدينةُ أشباح
لا تعرفُ أوزانَ الشعرِ
ولا لغةَ الوردِ
ولا أنغامَ المطرِ على الإسفلتِ.. يئنُّ حينئذٍ
قد كانت يوماً
لا يعلمُ ما كانت إلا
من مرَّ عليها
قد خبزت يوماً للشعراءِ الريحَ
الشمسَ
وقلباً أنهكه العشقُ
وقبلةَ عاشقةٍ خجلى
في فرنِ قصيدةِ

حين فتحتُ البابَ
وجدتكِ جالسةً في فوضى الحجرةِ
أنتِ؟
قرصتُ يدي
وخدودي
وفركتُ عيوني
أنتِ تماماً

لا يوجدُ خلفي إلا ما تركتُ أيامي
لا يوجدُ ما أحكي عنه تماماً
ممتلئٌ ذاك الأمسُ وفارغُ
ممتلئٌ في صوتِ المذياعِ
وفي صحفِ الأزياءِ
وعنوانِ جريدةِ
ممتلئٌ مني إذ يسقطُ مني
مني من بينِ يديِ
إذ لا يوجدُ خلفي
ما دلَّ علي
فالقمحُ النابتُ في صوتي
ما دلَّ علي
والبحرُ الجالسُ في عيني
ما دلَّ علي
كلُّ هذا اليأسُ يأخذني
ويدفعني إليّ
كلُّ هذا الحزنُ يذبحني
ولا يقضي عليّ
حين يسقطُ مني.. مني
من بينِ يديِ
إنَّه قلبي كما حظي شقيّ

ماذا كتبتِ عن السرائرِ والحروبِ؟
ماذا كتبتِ عن الضمائرِ

حين تدخلُ كلما احتجنا لها
فصلَ السكوت؟
ليلٌ يجبُ الليلَ
ثم يجبُ أمتارَ البلاد
خلفي المدائنُ حين لم يبقَ هناكَ
سوى الجماد

أنا ضد أن أمشي
وأمشي
عشرون عاماً أحمل الدنيا على ظهري
وأمشي
أحملُ الجبلَ المسمى الشِعْرَ في صدري
وأمشي
أقلعُ الشوكاتِ من صوتي
ومن ظلِّي
وأمشي
عشرونَ عاماً
والطريقُ إليَّ يبدأ بانتهائي
أنا ضدُّ أن أمضي
ولكنِّي.. إلى ضدي أسير
قلتُ اتبعيني كي أراي ضاحكاً
وأدرتُ ظهري
فاطعنيه كما طعنتُ من القلوبِ الصادقات
إنَّا امتلكنَا كلَّ أسبابِ القطيعةِ

والملامة
لم تبتسم في مسرح التهريج
والتمثيل رغم أدائنا
منا ابتسامة
قلتُ: اتبعيني
كي أراني ضاحكًا
وأدرتُ ظهري
فاطعنيه كما طعنتُ من القلوب الصادقات
إني حملتُ لك الورودَ
كما حملتُ سنابلي
قد خفتُ من حملي لقلبي
ليسَ لُغماً
كي تفجّرهُ الشرايينُ الـ تكدسُها المصائب
ليسَ قبراً
كي أنبشَ عن عظام الميتين
ولا شواهد
ليسَ صندوق العجائب
في دوائره الزوايا المغلقات
كلُّ الغصون بلا ثمارٍ
أو جذورٍ
أو ورقٍ
وأسمدُ المعنى بيأس الحالمين اللا يرونَ غداً
لحاضرهم ولي
معجونةٌ روعي بخوف المرهقين من الأرق

مدموجة بالليل
لا قمرٌ يطلُّ على النوافذِ
إن فتحتُ نوافذي
أنا عكسُ ما أمضي إليه
أنا ضدُّ هرولتِي
لأقبضَ ما أردت
تتنافرُ النقطُ السريعةُ
والمحطاتُ التي
ولدت من الأشباهِ أشباهاً معي
روحي بعكس توجُّهي
لا ردةٌ للفعل في هذا الفضاء
ليلٌ يجبُ الليلَ
ثم يجبُ أمتارُ البلادِ
إن الشواطئُ والقواربَ
لا تُشابهُ ما رأينا من محيطِ
مَن قادنا لبعيدنا يدري بأننا لن نعود

تمضي بنا
رجلٌ عجوزٌ يحملُ الدنيا
يمرُّ أمامنا
لا أمَّ له
رجلٌ عجوزٌ يختمُ الأوراقَ قبل وداعنا
لا أمَّ له
رجلٌ عجوزٌ يشبهُ الوطنَ الذي

ترك العجائز ذات يوم في الرحيل
لا أمَّ له
قالوا: بأن القبر رغم طفولة الأزهار
رغم الشاهد المخطوط في خط أنيق
ما داس تربته أحد
تمضي بنا
تمضي وتترك كل قلب كان فيها
كي تعود
كلُّ الأمام _ وما مشت تغتاله في الريح _ خلفي
إنَّ خلفي صوتها
ما تمتته وأرخته على لسان الفجر دوماً
قصة الذئب الذي
ما تاب عن غابات ليلى
إنَّ خلفي ما سيأكله أمامي
ما معي
ما ليس في هذي الحقايب
إنه وجهي وظهري
قبل أن ينصاع للدنيا
كما ذاك العجوز
إنها الأختامُ ما قبل الدخول
أو الخروج
تمضي بنا
أنا ضدُّ أن تمضي
ولكنِّي إلى ضدي أسير

كل المحطات الأخيرة
والمطارات البعيدة
والقطارات السريعة لا تحدثني
ولا تبكي معي
أنا لستُ أحملُ في الحقيبة غير قبري
مثلما حملَ العجوزُ
وجهان ينتظران ختمًا
إنه وجهٌ هنالك بانتظاري
إنه وجهٌ تخضَّبَ بالضياع
قال مبتسمًا: أتيت؟
أخرجتُ عمري من جوازي في مطارات الوداع
:خذ ما نسيتَ من الحقائب إن رجعتَ
ففي الحقائب نخلتان
ولوزتان
وضفتان تجرُّها الأيامُ نحو اللا لقاء
خذها ففيها صورةُ الطفل البريء
صراخُ أمِّك
راحتاها تعجنُ الشمسَ النحيلة
مع نشيج الوسوسات
قل للمسافر: إن للأشجار موسيقا
تعلمُّها البلابلُ للغروب
من قادنا لبعيدنا
يدري بأننا لن نعود

لا يعلمُ الإنسانُ إلا ما يرى
حتى إذا عصفت بعينيه الرياحُ
أتى الهدوء
في الكون يختلطُ الوجودُ مع البقاءِ
فلا هروب
خذاً ففيها شهقتان
وزفرتان
وغصتان
وبسمتان تراودان اليأسَ عن حقِّ السقوطِ
خذ ما نسيتَ
ففي مطاراتِ الوداعِ .. حقيبتان يتيمتان
كنبضتين تعلقت بهما خطاطيفُ الفراقِ
وفي الحقايبِ صرختان على القبائلِ
حين مالَ الخيلُ
يَصهلُ في الشرودِ
كلُّ المراكبِ قد نُسِتَ
فلا تسلُ أخشابها
كلُّ الحوافلِ قد نُسِتَ
فلا تسلُ ركبها
كلُّ القطاراتِ الِ تروحُ إلى البعيدِ
كلُّ المطاراتِ التي ردهاؤها
تفضي لما بعدَ الحدودِ
أما أنا لا زلتُ أحترفُ البقاءَ
فلا فضاءً

ولا بحورَ
ولا يُخوت
قلبي الحقيبة إن أردتُ حقيبتِي
وقصيدتي سفري إليَّ
ورحلتِي
وقصيدتي الإقلاعُ مني
والهبوطُ
ليلٌ يجبُ الليلَ
ثم يجبُ أمتارُ البلادِ
إن الشواطئَ والقواربَ لا تشابهُ ما رأينا
من محيطِ
ماذا كتبتِ عن السؤالاتِ التي بقيتِ هناكِ
بلا ردود؟
ماذا كتبتِ عن الحواجزِ والموانعِ والحدود؟
ماذا كتبتِ عن العجوزين اللذين تبخَّرا
بعدَ الحروبِ من الوجود؟
مَنْ قادنا لبعيدنا
يدري بأننا لن نعود...

كُتبت في رثاء المحامي السوري: (عبيد آغا الكعجي) الذي التَّقَطت له صورةٌ مؤثرةٌ بعدما فُصف منزله في الرقة لينتقل إلى رحمة الله متأثراً بجراحه. بعدها بأيام في المشفى... واعتُبرت صورتهُ بظلالها الخضراء الأكثر إيلاماً في الحرب بعد إخراجه من تحت الأنقاض، حيث بدت الأتربة والدماء تغطي وجهه ولحيته البيضاء وشعره الكثيف وأثار الذهول والألم تكسو ملامحه، وكأنها اختصرت ما فعلته الحرب تماماً بالإنسان في موطنه.

رتوق مثقوبة

هذا ما بدأتُ به:
قلبي يموت
لم يكثرثُ أحدٌ
طرقوا على الأبوابِ
ثم تراحموا للنيل مني
:لا يملكُ السيفُ سيفًا كي يجابهكم بهِ
وبها اتَّهمت
داسوا على الأوراقِ
داسوني فقلت:
لا ذنبَ للأوراقِ
مذ ضاجعُها ما أنجبتُ أملاً
لا ذنبَ للمسجون بعد تأقلم الجسد المقلم
مع جدار السجنِ
يخبرُ ساجنيه
عن الشموسِ
ولا يصيحُ من الألمِ
وعن المشاعل إذ تضيء على النوافذِ
والأزقةِ
رغم أوجاع الحديثِ
ولا يصيحُ من الألمِ
لا ذنبَ للضجر الذي

تختاره القضبانُ
أو يملئ عليها كي تعاندَ نفسها
ونفوسَ مَنْ تُمنى بهم
حتى تصيحَ من الألم

شدُّوا وثاقي
أقموني حصوةً
فلثغتُ في الآهاتِ أصدراها
من الحلق المشقق بالعجب
يستجوبون غداً
ولا يُدلي بشيءٍ في البدايةِ والعناد
ثم يُدلي
قال: أمسي وجبتان من الطعام
ووجبتان من الضياع
ووجبتان من العوز
والعجزُ يسترُ ما تبقى
من مشاعرٍ للغرام

حضرَ الأخيرُ
وكلُّهم خلفَ الأخير
لم يبتسم
لم يقرأ الخوفَ المخطط في عيون
لا ترى إلا انعكاسَ وجودهم
هذا لأنني قد أردتُ وما أراد

هذا وحررَ خافقي
حتى يفكرَ بالبحيم
أو الخلاص من الجحيم
رغم القذارة والقساوة
كان أكبرهم صغيراً
يأخذ الدنيا طقوساً للجريمة والعقاب
ودون ذنبٍ كان يجترعَ النفوسَ
بقلبه الصلب الزنيم
هي بصمة
وامض اليها عبر سجنك إن أردت
هي بصمة
لكن إبهامي ال تعود أن يطيع الأمر
أمري لا يطيع
قبضوا عليه وأودعوني حارة
لا زرع فيها رغم حاجات القطيع

هذا ما بدأتُ به
: لحي يموت
نظرَ الذي خلفَ المعازف للحضور
عيني تراقب ذلك البوق المكرر في العصور
راوغته
حاولت أن أمضي .. رأني
مدّ كفيه الخبيثة كي يشقق طاقتي
سرق انتمائي للثياب وقد تشابكت الخيوط

وشجاعتي رتقتُها لكن .. بآلاف الثقوب

وقفوا أمامي

والأخيرُ وقد تبسّمَ لم يقل

إلا: اتركوه

فصففوني والتراب

لو أنهم تركوا العبارة في فمي

لأعدتُ نسج ربيع حرفي

من سرايات السراب

العازفون تشرّدوا

وأخذتُ من آلاتهم حطبًا أدقُّ زائري

فوجدتُ نفسي ناره ورماده

ووجدتُ أحفادي امتدادًا للعذاب

هذا ما بدأت به :

صوتي يموت

صنمٌ أمامي يكسرُ الأحياءَ

يلتهمُ القرابين الكواعبَ

إن رماها الخوفُ في أحضانهِ

صنمٌ يُقدِّمه الجبانُ

لمن يرونَ الجبنَ دربًا للكياسة

ذئبُ الدماءِ كما ضباع العينِ يجترعُ الصدى

هذا الشعور من الضمائر لا يعودُ بقاربٍ

كانوا عليه

هذا الشعورُ هو الأخيرُ من البلادة

إني صرختُ بمن يشابهني:

أنا

كفي أحرِكُ

ليس يفهمني أحد

وأشِيرُ للقومِ الجسامِ

وليس يفهمني أحد

صنمٌ أمامي

ينجبُ الموتى

وأعداءَ الحياةِ

وبعضَ أكفانِ تغطيها الدماءُ

وليس يفهمني أحد

كم من مكانٍ كان يلفظُ ساكنيه وإِنّما

ما كان يسكنهُ أحد!

هذا ما بدأتُ به:

يومي يموت

لم نلتق

في الحلمِ جاءتني بلادٌ

تحملُ الزيتونَ في أُذنانها

في الحلمِ سارت ليأتي فوقَ النهارِ

في الحلمِ حادثني الكمانُ بألفِ لحنِ شيق

وصحوتُ لم أجد البلادَ

ولا الكمانَ

ولا الليالي السائرة

وغفوتُ فوقَ الحلمِ أيضاً
: كن جبلاً
: كن بحوراً
: للقصيدَةِ ألفَ معنى
ثم لا تبقِ المجازَ مُهدداً
للأعينِ اللا تلتقي بعشيقها
(مختارُ) من تلكَ التي بكتِ البلادُ رحيلاً؟
عيناكِ أيضاً قد بكتِ
شفتاكِ أيضاً قد بكتِ
كان الكلامُ دموعها
أثأتِ بَحَّتِكَ الضحوةُ قد بكتِ
والشعرُ فيكَ
الملحُ اللا ينثني
ويداكِ يومَ ذهبَتِ في الجوقاتِ
ترفعُ من وتيرةِ نبضنا
وتحركُ الأشياءَ
والأسماءَ
والأنفاسَ
إذ تُبكي القصيدةَ والليالي السابقةَ
يا عازفاً جمهوره الغيماتُ
والظبياتُ
واللحنُ الحجازي القديمُ
مَنْ ذا يحركُ من؟
هل لوَّحتِ كَفَّكَ للجوقاتِ... موسيقا

أم الشعر الحزين؟!
هل رددت عينك من نوتاتها؟
أم ما اختتمت بها مقام الرست
في ذيل اللحون؟!
لا زلت مني حيث نبدأ من نهايتنا
ونمضي

ثم نقفل راجعين
إلى المعاني الصادقة
لا زلت مني
حيث مني أنت قافية تلمم وهجنا
في عمتينا والشروذ
لا زلت مني أنت
دالية تظللنا معنا
فإذا تعرّت كنت دالية لها
وغمرتني

قد نمت أطول من حكايا الأمس
أقصر من مزاورة الشموس على الكهوف النائمة
لكنني أسكنت روعي في الحقيقة بعدما
كنت الوحيد ال لم تثبطه المواعيد الأخيرة...
هذا ما بدأت به
كلّي يموت..

دواخل

وكنْتُ إن مررتُ من أمامي
رجوتُ أن يكونَ جالساً
سواي في مكاني
وكَلِّمَ رأيَتي
أو كَلِّمَ رأيَني
وحرْتُ بينَ ما ابتعدتُ عنهُ واقترابي
ضحكتُ

ثم قلتُ: من يكونُ صاحبي؟
فكلُّ ما رأيتهُ يراهُ بارتياحي
وكلُّ ما أدوقهُ لـ لديه من عذابي
عميقهُ تعمُّقي
شديدهُ تشدُّدي
جديدهُ تجدُّدي
وجومهُ تجهُّمي
ثيابهُ ثيابي
فمن يكونُ صاحبي؟
أو صاحبُ المصابِ؟!
فصوتهُ ال يجترني بكلِّ ما يقوله
مهدداً فظاظتي يسومُ بالعتابِ
ويورثُ الهدوءَ فيما بيننا

ضوءاء الاكتئاب
وضوءهُ الخفيتُ إن أنارَ طارداً
عن طينه ظلامه
استغاثَ بالترابِ
يدثرُ البياضَ بالسوادِ
والسوادَ بالبياضِ
والشبابَ بالمشيبِ
والمشيبَ بالشبابِ
من هيكلي استراحَ حين لا أراحي
مُسدلاً مجيئةَ الخجولِ باحتجابهِ
مُغلقاً أبوابه
وقد فتحتُ بابي
فكيفما رأيتُهُ
إن كان ما رأيتُهُ
قد شاء أن يراني
مُدججاً خياله القريبَ بالحجابِ
يخافني لأنني أخافهُ
فكلماً تمددتُ يداي لاحتضانهِ
تمدّدَ اغترابنا فعدت باغترابي
يخافني لأنني أخافه
من توأم الوجودِ في دماننا
من نسخة العظام والعروق والندوبِ
من جلودنا
من أن تكونَ رحلة ابتعادهِ اقترابي

فشكاه تشكُّلي
وكسره تكسُّري
وجمعهُ تجمعي
وأصلهُ تأصُّلي
وهديه هدايي
وكنْتُ إن جهلُّني
وعدتُ لي مُعَنَّاً
تعانقت ملامحي.. لأنها ملامحي

بظَّله الوحيدِ
والمليءِ بالضبابِ
وأسرفت دواخلي.. لأنها دواخلي
برغم ما اختزلته من قبلُ بالإيابِ
وضمَّني بكَّله
وقد ضممتُ كلَّه
وحيما وجدتني.. ضممتني مجدداً
كي لا أضمَّ بعدما التقيتني
غيابي..

حطب

يُعَذِّبُنِي مَغِيبُ الشَّمْسِ عَنِّي
تُعَذِّبُنِي مَسَافَاتٌ طَوَّتْ فِي طَيْهَا سُحْبِي
فَقَدْ سَبَقْتُ خَطَايَ خَطَاكَ فِي الدَّرْبِ
وَقَدْ تَعَبْتُ مِنَ الْأَيَّامِ أَقْدَامِي
وَمَا تَعَبْتُ شَقَاوَتِكَ مِنَ اللَّعْبِ
وَقَدْ أَبَدَلْتُ تَمَثُّلًا
كَسَاهُ التَّلْجُ فِي هَرَمِ
بُعِيدَ الْخَافِقِ الْمَعْمُورِ بِالْغُلُوءِ وَاللَّهَبِ
وَيَوْمَ شَكُوتٍ فِي غَضَبِ
بِرُودِ حُضُورِكَ تَعْبًا
أَجَدْتُ مَهَارَةَ الْعَتَبِ
وَيَوْمَ بَعَثْتُ مَوْجِعًا
لَطِيفَ الْقَوْلِ كِي أَلْقَى
لَطِيفَ الرَّدِّ لَمْ أَجِبِ
وَحِينَ رَجَعْتُ مِنْ بَحْرِي
بِلا صَيْدٍ وَمَغْنَمَةٍ
تَرَكْتُ قَوَارِيبِي جَوْعَى
تَسْفُفُ مَوَائِدَ الْكُتُبِ
جَفَا صَنَّارَتِي بَحْرًا
وَأَمْوَاجَ تَهَشَّمْنِي
وَحِينَ رَجَعْتُ مُحْذُوفًا

غُنتِ البحرَ كي ألقى
بسلةِ صيدكِ قلبي
وحين تيبستِ شفتي
فلا شفةً ترطبها
تلمَّظُ أحمرُ الشفتينِ ما خبأتِ من رُطبِ
ويوم نثرتُ أسبائي
أمامَ الهجرِ كي أبقى
جررتِ الهجرَ مشدوها
ومنزوعاً من السببِ
أنا في عصركِ الذهبيِّ
كيف تعودُ بي حقبي؟
أنا في عصركِ الفنيِّ
مضياً لآلاتي
وأوزاني
وموسيقايَ في الأدبِ
جنيتُ العمرَ
وقعَ العمرَ
في تقصيفِ أجنحتي
فما طارت لتحمليني
ولا امتثلت لحملِ هياكلي رُكبي
فقد جفَّت عروقُ الطيشِ من زمنِ
وجفَّت بحرهُ الأفكارِ
والأشعارِ
والكتبِ

أنا أرضٌ بلا ماءٍ ولا شجرٍ
وأنتِ الروضة المسجأةُ
بالدرّاقِ والعنبِ
أنا جذعٌ تكادُ الريحُ تكسرهُ
وأنتِ كعودِ ريحانٍ
إذا ما الريحُ قد مالتِ
يميلُ بقدهِ الرطبِ
أنا في مسرحي بطلٌ
بلا نصٍّ وجمهورٍ
أحاكي الدورَ للأزياءِ والجدرانِ والخشبِ
أنا لا أنتِ في الدنيا
تمرّرهُ بلا صخبٍ
وتعبرُ مثلكِ الدنيا
بأعراسٍ من الصخبِ
قطاركِ جاءَ في عَجَلٍ
يريدُ محطةَ للحبِّ
والشيباتِ صاغرةً
أمامَ تعلقِ النُخبِ
سوى آثارِ مقدمه
وعودتهِ
سوى خيباتٍ ملمحه
ورجفتهِ من التأجيلِ
والتسويقِ
والآمالِ لم يُصبِ

لقد نفقتُ خيولُ الغزوِ
والناقاتُ في لغتي
لقد نفقت طواويسُ
نفوقَ التيهِ والعجبِ
وأحداقُ تبارزُ كلَّ غانيةٍ
وفاتنةٍ من الهدبِ
أنا في مقعدي ماضٍ
كما الأشجارُ ماضيةٌ إلى الحطبِ
فقد ضيعتني جداً
ومني تهتُ من مني
وقد أنسيتُ من تعبي
حياةً دونما تعبٍ ...

فرامل الليل

تعبٌ تعبٌ
وحدي وأنتَ ولا أحدَ
قتلَ الشتاءُ ضيوفنا
وطوى كطيِّ صحائفِ قلبًا
تعملقَ في جسد
ونحا بنا رغماً
فكانَ غريمنا
لنلودُ من سوطِ العناءِ
إلى كرايبجِ الحسدِ

قتلَ الشتاءُ ضيوفنا
والعابرينَ الحالمينَ
اللاجنينَ النازحينَ.. فلا أحدَ
تعبٌ تعبٌ
وحدي وأنتَ ولا أحدَ

قلبٌ.. تعملقَ في جسد
وتقرمَ النفسُ الزكيُّ
فقلتِ: كفكِ هاتها
وذوت قواي فليتني

قد كنتُ نسيًّا قبلها
أكون للنخل الرطيبِ
لسروةِ الوطنِ البعيدِ
على انتكاساتي السند؟
تعبٌ تعبٌ
وحدي وأنتَ ولا أحد

وجئتُ عظامي
فانتشِلُ منها عصاكُ
وسرٌ وحيداً
مذ عرفتكُ والندى
يمشي وحيداً
مذ عرفتكُ والقصيدُ يئنُّ في المنفى
وحيداً
مذ عرفتكُ والسرابُ يشقُّ صدري
حينما تمضى
وتتركنا وحيداً
فلتكن أنتَ الذي
قد جاء للعِزِّ وحيداً
يا غريباً
في زمانٍ شاء أن يبدو غريباً
فالنعمُ هو الجحيمُ إذا خبا
وجحيمنا يعني النعيمُ إذا ابتعد
تعبٌ تعبٌ

وحدي وأنتَ ولا أحد

ها أنتَ تحنو في المسير
وكلُّ شيءٍ عاندك
وتريدُ أن تسلو الجراحَ وكلما
واريتَ جرحاً أثخنك
وأنا بَ جرحٍ آخرُ
قدَّ البلادَ ومزقك
لم أستمع
واستلَّ من ألم الكلام عبارةً
:عاشت ذئابُ الحيِّ يا ولدي ولم
يبقَ كريمٌ يستجارُ بقوله وبظله
إلا هلك

"وكلامنا لفظ سليم كاستقم"
ولمئنا ما إن حللنا في اللسان عقاله
فوراً صدق
والحرُّ يا ولدي سجينٌ إن وعد
تعبٌ تعب
وحدي وأنتَ ولا أحد

ونبا ارتعاشٌ
فاحتضنَ ألمي ومارس
سطوة المطعون مارس

سلطة المكلوم مارس
لا تكن جفناً على عيني ودع
قلبي سريرك
إنّ هذا القلب مسجونٌ
وسجانٌ
وحارس
وانتزع ما شئتَ مني
خذ شجوني الآن خذني
كي أكونك مرةً
نثراً وشعراً مرةً
هبني دواتك كي أكونك مرةً
شكلاً وصوتاً مرةً
وجهاً حزيناً دافئاً
قد حاز أسرارَ الكمد
تعبٌ تعب
وحدي وأنتَ ولا أحد

ولثمتُ وجهاً مادَ أنهكة التعب
بتُّ الشظايا في سكون الليل
يجمعني ويطرمني الرجا
ويميدُ عقلي باحتساب اللاجئين
النازحين
القابعين بكل ما فيهم هنا
وقلوبُهم لهجت: ألا أحدٌ أحد

تعبٌ تعبٌ
وحدي وأنتَ ولا أحد

ووقفتُ أرقبُ مركبًا
قد جاء... لكن لا أحد
والبحرُ مثلي
مثلنا

يمضي... ولكن لا أحد
أين المهاجرُ ؟
لم يعد

صوتٌ بعيدٌ أو صدى
صوتٌ يعود بلا أحد
فرجعتُ مثلَ قصيدتي
فيها ترانيمُ البكاءِ بلا بكا
وخيالٌ وجهِ ضائع
قد كان يشبهُ لا أحد
تعبٌ تعبٌ
وحدي وأنتَ ولا أحد

الغربان

يا صديقي

قد تخلى عن جراحي الأقربون
ولقد تناساني الرفاق ولم يعد
في الغابة الخضراء أوراق
لتحملها الغصون

هذا التصحر في حياتي مارد
يقضي بصفرتة قضاء الفاسقين
هذا التساقط منذ جنت يعدني
من زمرة الرفضوا السقوط
ويسقطون

قدري المجيء فما اشتهيت زواله
وركبت صعباً ما ملكت عقاله
وسألت من سبقوا إليه فأحجموا
وأجاب عن سر الحياة الميئون

قدري المسير وكل ما صادفته
من موجعات في الردى
من مرجئات للأذى
من رقصة تكلى أمام مصائبى
من سطوة الفوضى

يَوْمَ رُهَا الْمَجُونُ

كَيْفَ فَوْقَ الْأَرْضِ أَمْشِي؟
رَاحَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَسْأَلُ فِي ذَهْوَلِ
مَا كُنْتُ أَمْشِي
إِنِّي سَلَّمْتُ أَمْرِي لِلصَّرُوفِ وَمَا يَكُونُ
وَلَا يَكُونُ
قَلْبِي يَطِيشُ عَلَى بَحِيرَاتِ الْأَسَى
لَا شَطَّ لِلْأَحْزَانِ فِي هَذَا الْمَدَى
إِنِّي أَنْتَهَيْتُ
فَأَيْنَ ذَاكَ النُّورِ فِي عَتَمِ الْفَضَا؟
قَلْبِي ضَجِيحٌ فِي سَكُونِ

يَا صَدِيقِي
لَمْ يَصَافِحْنِي سِوَاكَ وَكُلَّمَا
قَارَبْتُ كَفِّي صَافِحْتَنِي فِي جَفَا أَيْدِي الْمَنُونِ
لَا تَلْمَنِي
إِنَّ فِي لَوْمِ الْأَحْبَةِ ظَلَمَ مَنْ هُمْ يَعْشَقُونَ
إِنَّهَا الدُّنْيَا إِذَا مَا أَقْبَلْتَ
ضَحَكَتْ لَنَا
رَقَصَتْ بَنَا
حَتَّى إِذَا انْقَبِضَتْ أَدَارَتْ ظَهْرَهَا
إِنَّهَا الْأَحْلَامُ تَطْوِيهَا الظُّنُونِ

لا تلمني
إنَّ مَنْ في مثلِ حالي
لا تعالجه الكياسة والنصيحة والتخبُّط والظنونُ
إنَّ دولابَ العجائبِ قد رماني في عجائبهِ لوحدي
إنني أمسيتُ قُربانًا
يُقدِّمهُ الزمانُ إلى زماني
إنني في جدولِ الأعمالِ للإخفاقِ
من بعضِ الشؤونِ
يا صديقي
قد تخلَّى عن جراحي الأقربونُ

الشبّاك

قد عدتُ في سُنن الرحيل وهكذا
يرسو الرحيلُ على خليج القهر
مدفوعاً بأمواج المحاجر
وأرى بلادي في بحار الحبر تطفو
حينَ يطفو الحبرُ في وجع المحابر
وطنان يعتلجان في حدقي
على كتفي

وفي ورقي

وفي حنم المعابر

وعلى جوازي لستُ أدري من أنا
فأنا سواي إذا انتهيتُ لموطني
وسواي أبدو إن بدأتُ بموطني
وأنا المقيمُ إذا لجأتُ
أنا الغريبُ إذا أقمتُ
أنا المسافر

(عمّان) تحتلُّ المسافةَ والحواجرَ والمقاعد

قد كنتُ أحسبُها القصيدةَ غيرَ أني

حينما ودعتها .. ودّعتُ آلافَ القصائدِ

قد كنتُ أحسبُها الوضوءَ لكلِّ جرحٍ نازفٍ

والآن أكتشفُ الحقيقةَ

حينما تبدو الطهارةُ والقداسةُ والمعابدُ

(عمّان) تمشي في (الخليل) فهل لمحت بيوتها؟

إني رأيت نساءها

يغزلن ثوبَ (حليمتي)

ورأيتُ أُمي قد تسيّدت الكواعب

ومخيمي

إني رأيت مخيمي اتَّخذُ الصفيحَ غطاءه

ومن الدوالي

من غصون التين يتخذُ الوسائد

عمّا يفتشُ من يفتشُ معطفي؟

إني حملتُ اللاجئينَ جميعهم

إني حملتُ النازحينَ جميعهم

إني حملتُ وجوهَ قومي في حقيبةِ أضلعي

وحملتُ رائحةَ الترابِ ولم تسع

وطني الرسائلُ والحقائبُ

وفككتُ رأسي

كي يطيرَ مع الطيور

وكي يغيبَ مع البحور

وكي يكونَ رصاصةً

أو زهرةً

أو جدولًا يجري ليستبقَ السحاب

وفككتُ رأسي

كان في رأسي الشروقُ

وكان في رأسي الغروبُ

وألفُ نجارٍ

وحدّادٍ
وسبّاكٍ
وعطارٍ
وما لحت
ما غنّيتُ
ما غنّيتُ (أبو عرب)
وما أقسمتُ
ما أضمرتُ
كنتُ الكونَ
كلَّ الكونِ في سفري
وتصحبني الكواكب

قد عدتُ أين (حليمتي)؟
حافٍ وتدرّي قصةَ الطفلِ الذي
قد سارَ في ركبِ الحفاةِ
حافٍ وطعمُ الشاي قد غمسَ الرغيفَ
على الشفاهِ
حافٍ ككلِّ الهاربين من الجحيمِ
إلى الحياةِ
فتناولني شايي
رغيفي
ناولني شفتي رغيفي
ثم قومي مثلما قد كنتِ في الوجهِ الصبوحِ
إلى الصلاةِ

حافٍ (وحيُّ الشيخ) مسرحنا الأخير
إني أفتشُ عن (حليمة) فوق مسرحه
وعني في الحضور
أين المنازلُ؟

أين جدي؟
أين مفتاحُ الحديد
وبابُ مسجده الصغير؟
أين الصريرُ على لسان الباب
إن شهقَ الرنين؟
إني أفتشُ في الأزقةِ عن أساتذتي
وعن صفي

عن الطفلِ الِ تعدى الأربعين
إني أفتشُ عن نشيدةِ موطني
الكورال
والتصفيق

عني في الحضور
لو تعلمين صديقتي
ما كان من وجع اليدين وشوقها
ما كان من وجعي لأمسِكَ أصبعَ الطباشور
إني أفتشُ في الخريفِ عن الربيع
وفي الصدور القاحلاتِ عن الزهور

دعي الجدرانَ تسألني
دعي الأثوابَ تسألني

دعي الحارات ترشدني إلى بيتي
أنا لا زلتُ أرقبها تدكُّ (استيم) بابور
ولا أدري إذا ما الضوء من وجهِ
ومِن أسنانِ والدتي وجبهتها

أم البابور!!

انا لا زلتُ أسمعها
وطعمُ الشاي في شفتي
فهذا البابُ يعرفني
وهذا الحَوْشُ
هذا الشيبُ
هذا القهرُ

هذا الشعرُ بين النثر والمنثور

أمامَ البابِ يا وطني
أنا المَوجوعُ والمَشقوقُ والمَجبورُ
أنا من نسلِ ساحرةٍ
ولكني أنا المسحورُ
أنا من حطَمَ الأشياءَ
من حطَمته غريبتهُ
كهذا البابِ في شُباكه المكسورِ
أنا من أحزنَ البروازَ يومَ رميتهُ حجراً
ويومَ وشمتهُ كسراً
ويومَ تركتُ كوبَ الشاي منتظراً

أمامَ الخبزِ والتُّورِ
أنا مَنْ كسَّرَ الشِّبَاكَ لَكُنِي أنا المَكْسُورُ....

الداية

صوتي ليس جميلاً
ليس رشيقياً في نبرته
صوتي.. لا يصلحُ إلّا للشعر
كنتُ صغيراً
أصغرَ من أن أفهم شعرَ الملكِ الضَّليلِ
لكني رددتُ (ككورال)
ما كان يُذوّبُ في دنياي إذا أُعرب
كنتُ صغيراً
لا أعرف شكلَ الضمة من نهد الأنتى
لا أعرف إن كان الموجُ على الأوراقِ
حقيقياً في الوهم
إن كان سيغرقها يوماً في قمم اليم
لا يتقنُ صوتي إلّا الشعرَ
لا يتقنُ إلّا الشعرَ

أمي تعلمُ ذلك
أستاذ اللغة العربية يعلمُ ذلك
وفتاة الحارة حين عشقتُ صفائرها
وسرقت القبلة من فمها
وهربت بعيداً
تعلم ذلك

وأبو حسن اللدواي يعلم ذلك
"و أبو حسن اللدّاوي هذا، يعمل حمالاً،
أحياناً يعملُ ماسحَ أحذية، عاملَ مقهى
أحياناً يتجوّل بين الأحياء
يبيعُ الترمسَ للأولاد، ويملك صندوقَ عجب "
لا يتقن صوتي إلّا الشعر
ولم يلحق حلماً إلاه

تخبرني أُمي كيف بكيتُ بكاءً موزوناً
حين أتيت إلى الدنيا
تخبرني كيف حبوتُ إلى ديوان جرير
وكيف أكلتُ الورقَ تباعاً
والجارّة تخبرني عن طفلٍ غنى بنشازٍ في الليل
رباعيات الخيام
الدايةُ تكذبُ إذ تنفي فلسفةَ الحبرِ على جسدي
والحبرُ وأُمي وأنا
نعلمُ أن الحبرَ على ثوبِ الدايةِ مني
كان صديقي
سرتُ وسارَ فلا يعلمُ أحدٌ منّا
عن سرِّ العشقِ الأزلي
أرسمه كيف أشاءُ
ويرسمني إن شاءَ بلا قيدٍ أو شرطٍ
ما زال يحرضني أن أهرب مني
ما زال يُكسرُ أصفادَ الوزنِ على شفّتيّ

ويعارضُ ترميمَ قوافينا
بدواعي الموروثِ القبليِّ
قد كان صديقي
أو أني القابُعُ فيه بهذا الجسد
وهذي الروح
هل أجهلُ كيف يجيءُ الشعرُ؟
أم يجهلُ شعري
كيف أجيءُ إليه قبيلَ نداءِ الحرفِ عليّ؟
لا أتقنُ أن أتفسرَ إلّا أن يستنشِقَ من رنتي هواه
لا أتقنُ أن أتكلّمَ إلّا في حضرةِ عينيه
ليكونَ السامعُ والمسموعُ
ويكونَ الظالمُ والمقموعُ
ويكونَ مداي الرحبُ مداه

في هذا العقلِ صنديقٌ مقفلةٌ منذ قرون
يختمها خوفُ الأيامِ بشمعِ أحمر
أكياسٌ من جثثِ الأفكارِ
وبعضُ الأمثالِ الممنوعةِ أن تتكرّرَ
أنا لا أتذكرُ أين وضعتُ الخيلَ العربيَّ بورقي
أنا لا أتذكرُ شكلَ (الحارثِ) رغمَ ملامحهِ المعروفةِ
(وابنِ سنانِ)

لكني أتذكرُ شطحاتِ وصولاتِ (الجاحظِ)
(فالجاحظُ) كان كريماً في كتبِ البخلِ
وأرددُ ما قال (النابغةُ) بفيءِ القبّاتِ الحمراءِ

وأردد ما قال الشعراء بسوق عكاظ
كنت أبيع الخمر هناك
وكنت أبيع الكحل هناك
وكنت هناك الراوي أيضاً
وهناك مررت بأول حب
وآخر حب.. كان هناك
وبتلك السمرء ال تفترس تفاصيلي
ومررت بـدكان القراطسية
ومن باع لي القلم الأول
ومن كسر لي القلم الأول
ومن سرق مراد الكلمات

أعوامي جرفت في سيل السنوات طريقي
مخموراً هذا القلقُ الجائمُ فوق خيالي
محمومٌ هذا التعبُ ال يشكوهُ مجازي
وسعيدٌ هذا الحزنُ بقافيةٍ
ترسمهُ بطلاً في نحسٍ ويأسِ الحالاتِ
التيه الكوني يقشّرُ ذاكرة الإنسان
ليبدو شبحاً
الحزنُ المفروض علينا يخلعُ مسمارَ مبادئنا
كي نتخلخل
البنجُ الفكريُّ يساعِدُ في تحويلِ الذاكرة لسلّةِ كعكٍ
ومفارشِ خبزٍ
ولبسطةٍ ممنوعاتٍ تعرضُ أفلامَ البورنو

وأغاني الحاراتِ الضائعةِ عن الأفيون
والقيدُ الأحمرُ مولودٌ شرعي للخطِ الأحمرِ
إني أتذكرُ ما أسلفهُ الشعراءُ
ولستُ أمارسُ ما أتذكرُ....

((علامات التنصيص احتوت على نصٍّ قصيرٍ من قصيدةٍ للشاعر الراحل: محمد القيسي.))

أقدام عاشقة

سأقتني قدمايَ إليك
جرّرتي لأكونَ لديك
هاربةً منكَ فلا جسدي
يمنعني فورَ مغادرتي
أن أقذفَ نفسي بين يديك
ساكرةً منكَ فلا ألمي
يأخذُ ما قلتَ ويصفعني
بسياطِ القسوةِ من شفقتك
ساكرةً تشربُ عيناها
ما لا تشربُه عيناها
إن حرمَ المُسكرُ في عينيك
أفقدني صدكُ أيامي
ما كنتُ عليهِ وجرّدني
من قلبِ يسكنُ في جنبك
قلُ عني: جاهلةٌ طفلةٌ
قلُ عني: طائشةٌ نزقةٌ
عَنّفي ما شئتَ مراراً
قدّمي هيَ مثلي عاشقةٌ
سأقتها الأشواقُ إليك

أَسْمَعُ هَذَا الضَّجَرَ بِصَوْتِكَ
أَعْرِفُ دَوْمًا مَا تُخْفِيهِ
أَحْفَظُ عَيْنِيكَ إِذَا احْتَوَتَا
مَا تَمْنَعُ عَنِّي أَنْ تَحْكِيَهُ
أَحْفَظُ دَهْشَتَكَ إِذَا انْتَبَذْتَ
فِي صَنَمِ سَكْوَتِكَ عِنْدَ التِّيهِ
أَلْمَسُ مَا خَلَقَكَ

مَرَاتِي

مَا تَرَفُضُ يَوْمًا أَنْ تَبْدِيهِ
لَكِنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ يَوْمًا
مَأْسَاءَ فُؤَادِ تَسْكُنُ فِيهِ
مَأْسَاءَ الْعَتَبِ فَلَا تَعْتَبِ
صَمْتَكَ يَكْفِينِي
مَأْسَاءَ الْحَرْفِ عَلَى شَفْتَيْكَ
وَمَا يَشْقِينِي
تَشْرِينَ رَدَّ مَشْكَاةٍ
وَمَنْعَتَ بَمَا رَدَّ يَقِينِي
تَشْرِينَ جَاءَ فَإِنْ تَمَضَّ
يَمِضُ تَشْرِينِي

كَرَّرَ الْفَاطِكُ عَاتِبَنِي
ذَكَرَنِي أَنْكَ تَسْبِقُنِي عَشْرِينَ سَنَةً
مَكَرُورُ حَدِيثِكَ أَحْفَظُهُ
أَكْرَهُهُ جَدًّا

أكرهه
يَقْتُلُنِي سَنَةً تَلَوَ سَنَةً
حَاوَلْتُ كَثِيرًا أَنْ أَمْضِي
لَكِنْ فُؤَادًا فِي صَدْرِي
يَأْمُرُنِي أَنْ أَلْقَاكَ هُنَا
فَأَنَا مِنْ غَيْرِكَ.. وَضَحَّ لِي
مِنْ غَيْرِكَ.. مَنْ سَأَكُونُ أَنَا ؟
فَأَنَا عَاشِقَةٌ خَائِفَةٌ
سَأَقْتَنِي قَدَمَايَ إِلَيْكَ....

الفهرس

١١	١ . الثوب
١٥	٢ . التبغ الضائع
١٩	٣ . رفوف مورقة
٢٣	٤ . دفتان وأنا
٢٧	٥ . أنوجاد
٢٩	٦ . التراب
٣٣	٧ . سرير آخر
٣٥	٨ . الأشقاء
٣٩	٩ . الأدغال
٤٧	١٠ . نسيان
٥٥	١١ . نعم فارغة
٦١	١٢ . مدينة البن
٦٥	١٣ . كوب شاي
٧٣	١٤ . سطور
٧٥	١٥ . رفات بل
٩٥	١٦ . رتوق مثقوبة
١٠٣	١٧ . دواخل

١٠٧	١٨	حطب
١١١	١٩	فراطل اللل
١١٧	٢٠	الغربان
١٢١	٢١	الشباك
١٢٧	٢٢	الداية
١٣٣	٢٣	أقدام عاشقة

